الجوهر النفيس

في

بيان رزية الخميس

ابو فاطمة التوبي


بسم الله الرحمن الرحيم

المقدّمة

الحمد لله رب العالمين وصلّى الله على النبيّ الأكرم محمّد صلى الله عليه وآله وسلم وعلى آله الأطهار الميامين وبعد.

أيها القارئ العزيز أنت بين يدي بحث جليلٍ عن حادثةٍ بكى لأجلها حبرُ الأمة وترجمانها ابن عباس رضوان الله تعالى عليه حتى بلَّ بدمعه الحصى وهو الذي أطلق على هذه الحادثة وسماها برزية الخميس ـــ أي مصيبة الخميس ـــ حيث كان يردد ذلك كما يقول سَعِيدِ بنِ جُبَيرٍ : قَالَ ابنُ عَبَّاسٍ : يَومُ الخَمِيسِ وَمَا يَومُ الخَمِيسِ ؟! ثُمَّ بَكَى حَتَّى بَلَّ دَمعُهُ الحَصَى ، إذن نحن امام فاجعة ومصيبة تستحق البكاء ، بكى لأجلها حبر الأمة وسماها مصيبة ، وهو كان حاضر الحادثة ويعلم ملابساتها ، حدثت هذه الرزية في اخر ايام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واغتم بسببها وتألم أيما تألم وستكتشف ان رزية يوم الخميس هي رزية الامة الاسلامية فحريٌ بالمسلم الباحث المنصف أن يدرس هذا الموضوع دراسة جدية لأن الامر يتعلق بسيد الكائنات وشريعته ، ولهذا الغرض وضعنا بين ايديكم هذه الدراسة المختصرة عن الموضوع ، وليس بالضرورة ان تنتهي الى النتائج التي انتهينا اليها ، فإن الله تعبّدنا بالعقل ودعانا الى التفكر والتدبر والتعقل ، والفلاح سيكون لأولي الالباب (الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ۚ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ) الزمر ١٨ ، جعلنا الله واياكم منهم انه سميع الدعاء .

حاجز يمنع الباحثين

كثير من الباحثين في النصوص الشرعية ينظرون الى النتائج قبل ان يبحثوا النص وعلى اي شيءٍ يدل ! والنتائج التي لا تعجبهم ولا تنسجم مع سوابقهم الفكرية يحاولون ان يفسروا النص بما يتناسب مع افكارهم ، فيكون النص تابع لهم لا العكس ! ، يقول لو فسرت الاية او الحديث هكذا ساضطر ان اتنازل عن العقيدة الفلانية او يكون ذلك مؤديا للقدح بشخص احترمه ، والحال أن هذه ليست مسؤوليتك ، ليست مسؤوليتك كمسلم أن تبرر لأحد بل وظيفتك أن تتبع النص وتفهمه كما هو ، ولا تجعل شيء يؤثر عليك في فهم النص ، ولاشك أن الايات القرانية والاحاديث النبوية الصحيحة ستقودك الى الهدى ، فكن مطمئنا انها لن تخرجك من هدى ولن تدخلك في ضلالة بشرط ان تفهمها كما هي من دون ان يؤثر عليك الانتماء الفكري والاحكام المسبقة .

واقعة الرزية اجمالا

لكي نتصور الحادثة بشكل اجمالي ننقل لكم ما اخرجه البخاري في صحيحه عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّهُ قَالَ: يَوْمُ الخَمِيسِ وَمَا يَوْمُ الخَمِيسِ؟ ثُمَّ بَكَى حَتَّى خَضَبَ دَمْعُهُ الحَصْبَاءَ ، فَقَالَ : اشْتَدَّ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجَعُهُ يَوْمَ الخَمِيسِ ، فَقَالَ : « ائْتُونِي بِكِتَابٍ أَكْتُبْ لَكُمْ كِتَابًا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ أَبَدًا»، فَتَنَازَعُوا ، وَلاَ يَنْبَغِي عِنْدَ نَبِيٍّ تَنَازُعٌ ، فَقَالُوا : هَجَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : «دَعُونِي ، فَالَّذِي أَنَا فِيهِ خَيْرٌ مِمَّا تَدْعُونِي إِلَيْهِ » .صحيح البخاري ج٤ ص ٦٩ رقم الحديث ٣٠٥٣ .

واخرج البخاري ايضا عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: لَمَّا حُضِرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفِي البَيْتِ رِجَالٌ، فِيهِمْ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « هَلُمَّ أَكْتُبْ لَكُمْ كِتَابًا لاَ تَضِلُّوا بَعْدَهُ» فَقَالَ عُمَرُ: إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ غَلَبَ عَلَيْهِ الوَجَعُ، وَعِنْدَكُمُ القُرْآنُ، حَسْبُنَا كِتَابُ اللَّهِ. فَاخْتَلَفَ أَهْلُ البَيْتِ فَاخْتَصَمُوا ، مِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ : قَرِّبُوا يَكْتُبْ لَكُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كِتَابًا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ مَا قَالَ عُمَرُ ، فَلَمَّا أَكْثَرُوا اللَّغْوَ وَالِاخْتِلاَفَ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «قُومُوا» قَالَ عُبَيْدُ اللَّه : فَكَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ ، يَقُولُ : «إِنَّ الرَّزِيَّةَ كُلَّ الرَّزِيَّةِ مَا حَالَ بَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبَيْنَ أَنْ يَكْتُبَ لَهُمْ ذَلِكَ الكِتَابَ ، مِنَ اخْتِلاَفِهِمْ وَلَغَطِهِمْ » . صحيح البخاري ج٧ ص ١٢٠ رقم الحديث ٥٦٦٩ .

قال محمد حمزة قاسم : معنى الحديث: يقول ابن عباس رضي الله عنهما: " اشتد بالنبي - صلى الله عليه وسلم - وجعه " أي اشتدت عليه آلام الحمى في مرضه الأخير الذي توفي فيه، " فقال: اتوني بكتاب أكتب لكم كتاباً " هكذ الرواية بجزم " أكتب " لوقوعه في جواب الطلب. أي أحضروا لدي أدوات الكتابة من قلم وقرطاس ونحوه لكي آمر بعض أصحابي بتحرير كتاب هام " لن تضلوا بعده " يعني لكي يكون هذا الكتاب هادياً لكم إلى الطريق القويم والصراط المستقيم، فلا تميلوا بعده عن جادة الحق ولا تنحرفوا عن منهج الصواب، والظاهر أنّ هذا الكتاب كان يتعلق بأمر الخلافة ومن يليها بعد النبي - صلى الله عليه وسلم -، وأنه - صلى الله عليه وسلم - أراد أن يعهد فيه لمن يكون بعده خليفة للمسلمين . الى ات قال : قال ابن عباس رضي الله عنهما " فاختلفوا وكثر اللغط " أي كثر الكلام وارتفعت الأصوات " قال قوموا عني ولا ينبغي عندي التنازع منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري ج١ ص ٢٠٨ .

فاحاديث رزية الخميس تخبرنا أن رسول الله صلى الله عليه واله وسلم قبل رحيله الى الرفيق الاعلى بايام معدودة اجتمع نفر من صحابته في غرفته وطلب منهم طلبا بمنتهى البساطة وهو أن يجلبوا ورقة وقلم لكي يكتب لهم كتابا هذا الكتاب يعصمهم من الضلالة بعده ، فانقسم الصحابة الحضور الى قسمين : قسم يقول اعطوه الكتاب ليكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده ابدا ، وقسم يقول ان رسول الله صلى الله عليه واله وسلم يهجر ! او غلبه الوجع ! ووقفوا ضد كتابة الكتاب ولذلك اخرجهم رسول الله صلى الله عليه واله وسلم من عنده ، وسنبين من هم الحضور

ومن الموافق ومن المخالف وما معنى كلمة هجر وما كانت ردة فعل النبي صلى الله عليه واله وسلم ان شاء الله تعالى .

ابن عباس ووصف الحادثة

قبل أن انقل لكم كلام ابن عباس يجب ان اعرفكم من هو الصحابي ابن عباس واكتفي بذكر كلام الذهبي فيه حيث قال : (عبد الله بن عباس البحر حبر الأمة ، وفقيه العصر ، وإمام التفسير أبو العباس عبد الله ، ابن عم رسول الله – صلى الله عليه وسلم – العباس بن عبد المطلب شيبة بن هاشم) سير أعلام النبلاء ج٣ ص ٣٣٢ .

ابن عباس يصف هذه الحادثة وهو كان من الحاضرين فيها حيث قال : (إنَّ الرزية كلّ الرزية ما حال بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين كتابه) .

وقال ايضا : (يومُ الخميس وما يوم الخميس !. ثم بكى حتى خضب دمعُه الحصباء) فشهادة ابن عباس شهادة مهمة من مشهد الواقعة ، هو يبين لنا ان ما حدث لم يكن حدثا بسيطا بل كان حدثا يستحق ان يقال عنه انه مصيبة ويستحق أن نذرف عند ذكره الدموع .

طبعا حاول النووي جعل ابن عباس مخطئاً في وصفه الحادثة فقال : (فكان عمر أفقه من ابن عباس وموافقيه) شرح النووي على مسلم ج١١ ص ٩٠ .

ولا ادري كيف يكون عمر أفقه من ابن عباس ؟ وعمر هو القائل : «من كان سائلاً عن شيء من القرآن فليسأل عبد الله بن عباس» (فضائل الصحابة برقم ١٨٩٣) ، وأين غابت عنه فقاهته يوم سُئل عن مسألة فقال فيها ، فقام إليه ابن عباس فساره فقال : يا أميرالمؤمنين ليس الأمر هكذا ، فأقبل عمر على العباس – وكان عنده – فقال له : يا أبا الفضل بارك الله لك في عبد الله إنّي قد أمرّته على نفسي فإذا أخطأت فليأخذ عليَّ (فضائل الصحابة ٩٨٢/٢ برقم ١٩٤٢) . وهو القائل بنفسه (كل أحد أفقه منك يا عمر) الاحكام لابن حزم ج٢ص٢٣٧ ، السنن الكبرى للبيهقي ج٧ص٢٣٣ ، وفي تخريج الاحاديث للزيلعي ٢٩٧/١ قال بعد ايراده للحديث (سنده قوي) وكذلك ذكر العلجوني في كشف الخفاء ٢٦٩/١ بان سنده قوي وذكر العجلوني ايضا في ج٢ص١١٧: (كل أحد أعلم – أو أفقه – من عمر .

ولكن سترون أنها فعلا فاجعة و أن الحق مع ابن عباس ، هذه الحادثة كانت مؤلمة وقد تأذى منها رسول الله صلى الله عليه وآله كثيرا فهي رزية ومصيبة بحق .

من كان في البيت؟

جاء في صحيح البخاري : عن ابن عباس رضي الله عنهما قال لما حضر رسول اله صلى الله عليه وسلم وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب قال النبي صلى الله عليه وسلم هلم اكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده فقال عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم قد غلب عليه الوجع وعندكم القرآن حسبنا كتاب الله ... صحيح البخاري ج٧ ص ٩ .

إذن هناك رجال في البيت عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومن ضمنهم عمر بن الخطاب .

الحديث لم يذكر من هم الرجال الذين كانوا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، نعم ذكر عمر بن الخطاب لأن له دور اساسي في القصة وأيضاً من الرجال ابن عباس لأنه راوي القصة .

وفي بعض الروايات أن بعض نساء النبي صلى الله عليه وآله وسلم كن ممن حضر الحادثة وقد شاركن معهم الحديث من وراء حجاب .

حيث لما سمعن ما يدور تقول الرواية : فقال النسوة من وراء الستر: ألا تسمعون ما يقول رسول الله صلى الله عليه وآله قال، قال عمر: فقلت إنكن صويحبات يوسف إذا مرض رسول الله عصرتن أعينكن، وإذا صح ركبتن عنقه! قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : (دعوهن فإنهن خير منكم) (كنــز العمال ٣ : ١٣٨).

وهناك عبارة موهمة نذكرها لكم ونذكر اقوال العلماء فيها لكي لا يحصل التباس لدى القارئ العزيز ، والعبارة هي ما جاء في الحديث في صحيح البخاري (فاختلف أهل البيت فاختصموا منهم من يقول قربوا يكتب لكم النبي صلى الله عليه وسلم كتابا لن تضلوا بعده ومنهم من يقول ما قال عمر) فما المراد بأهل البيت ؟

قد يظن القارئ أن المراد بأهل البيت هم اهل بيت النبي صلى الله عليه واله وسلم ، يعني علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام ، وهذا الظن خاطئ ، فالمراد من اجتمع في ذلك البيت وقتها ولذلك انقل لكم كلمات اشهر العلماء لكي تكونوا على بصيرة :

قال ابن حجر العسقلاني : قَوْله فِي الرِّوَايَة الثَّانِيَة (فَاخْتَلَفَ أَهْلُ الْبَيْتِ) أَيْ مَنْ كَانَ فِي الْبَيْتِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَلَمْ يُرِدْ أَهْلِ بَيْتِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . فتح الباري ج ٨ ص ١٣٥ .

وقال العيني : قَوْله : (وَفِي الْبَيْت رجال) ، أَي : وَالْحَال أن فِي بَيت النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم رجال من الصَّحَابَة ، وَلم يرد أهل بَيت النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم . عمدة القاري شرح صحيح البخاري ج١٨ ص ٦٣ .

وفي سنن النسائي ٣٦/٤ قال هكذا (فاجتمعوا في البيت فقال قوم قوموا يكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده ابداً وقال قوم ما قال عمر) فالتعبير بالقوم والاجتماع بالبيت لا يطلق لا على من كان مجيئه من خارج البيت مما يدلل

على وجود مجموعة كبيرة من الصحابة ثم ان طردهم من البيت لا ينسجم الا مع كون المطرودين ليسوا من اهل البيت فلا معنى لطرد اهله .

إذن هناك مجموعة من الصحابة حضروا عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في تلك الحادثة المؤلمة وكان فيهم ابن عباس وعمر بن الخطاب .

مالذي حدث في ذلك اليوم؟

ذكرنا لكم ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم طلب دواة وكتف اي بتعبيرنا طلب ورقة وقلم حتى يكتب لهم كتابا هذا الكتاب لن يضلوا من بعده ابدا ، يعني هذا الكتاب لو كتبه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لن تضل الأمة فهو يعصمهم من الضلالة ، ولكن مالذي حصل ؟

انقسم الحضور إلى قسمين :

القسم الأول : يقول اجلبوا لرسول الله الورق والقلم ففي صحيح البخاري (فمنهم من يقول قربوا يكتب لكم رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا لن تضلوا بعده) .

فهؤلاء لم يعارضوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و لم تذكر الرواية اسمائهم ولكن ابن عباس منهم لأنه كان يسميها رزية ومصيبة بسبب معارضة الآخرين للنبي في كتابة الكتاب فلا يعقل ان يكون مؤيدا لهم ، واشار النووي ان ابن عباس وموافقوه كانوا في الجانب الذي يدعوا لامتثال اوامر رسول الله صلى الله عليه واله وسلم في جلب الدواة والكتف . شرح النووي على مسلم ج١١ ص ٩٠ .

القسم الثاني : كانوا ضد فكرة كتابة الكتاب ، وعارضوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكانوا متبعين بذلك قول عمر بن الخطاب فهو كان قائدهم والدليل من صحيح البخاري (فمنهم من يقول قربوا يكتب لكم رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا لن تضلوا بعده ومنهم من يقول ما قال عمر) إذن الطرف الآخر المعارض لكتابة الكتاب هم عمر بن الخطاب ومن تبعه على فكرته ، ويجب أن تركزوا هنا إن المعارضة كانت تردد مقولة عمر بن الخطاب لا غير ، ولكن هذا الحديث لم يصرح بما قاله عمر بن الخطاب ، هذا الحديث فقط كشف لنا أن عمر بن الخطاب كان قائد المعارضة والاخرون يرددون ما قاله عمر تذكروا هذا جيداً ، فهؤلاء لم يكن قولهم إلا قول عمر بن الخطاب .

مالذي كانت تقوله المعارضة ، وما كان قول عمر بن الخطاب ؟

طبعاً إذا عرفنا المقولة التي كانت ترددها المعارضة فسنعرف مقولة عمر بن الخطاب لأن المعارضة كانت تردد كلمات عمر بن الخطاب والان نحتاج هنا ان نذكر لكم الجواب على شكل نقاط لايضاح الفكرة :

١.جاء في صحيح البخاري أن الرجال الذين عارضوا كتابة الكتاب كانوا يتبعون عمر بن الخطاب ويرددون قول عمر (ومنهم من يقول ما قال عمر) .

٢. هؤلاء الرجال كما في صحيح مسلم ج٥ ص ٧٦ في كتاب النذر يقول ابن عباس : (فقالوا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يهجر) .
وفي صحيح البخاري أيضا (فقال بعضهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد غلبه الوجع وعندكم القرآن حسبنا كتاب الله) هنا البخاري يقول قال بعضهم!

إذن المعارضة كانت تردد كلمة رسول الله يهجر! ، وفي صحيح مسلم ج٥ ص ٧٦ كذلك (فقال عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد غلب عليه الوجع وعندكم القرآن حسبنا كتاب الله)

وفي صحيح البخاري أيضا (قال عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم غلبه الوجع وعندنا كتاب الله حسبنا)

لاحظوا هنا البخاري يصرح ان القائل عمر بن الخطاب ، ستعرفون ان كلمة (غلبه الوجع) هو نقل بالمعنى للكلمة التي قالها عمر بن الخطاب وهي كلمة هجر ، شاهدوا إذا قالوا قال عمر يذكرون معنى الكلمة ولا يذكرون الكلمة صراحة تسترا على كرامة القائل!! وإذا قالوا " قال بعضهم " او " قالوا " او " قال " يذكرون الكلمة صراحة وهي كلمة هجر .
ويلاحظ هنا: أنهم حين يصرحون بأن عمر هو قائل هذه الكلمة يبدلون الصيغة، من صيغة خبرية إلى صيغة إنشاء واستفهام، أو يقولون: غلبه الوجع. أو نحو ذلك ، وإذا صرحوا بكلمة الهجر، فإنهم يبهمون اسم القائل .

فكلمة غلب عليه الوجع او غلبه الوجع هذا نقل بالمعنى لكلمة عمر بن الخطاب ، فعمر كان يقول رسول الله يهجر ، ولكن هنا نقلوها بالمعنى .

والدليل على أنه نقل بالمعنى ما صرح به في صحيح مسلم (فقالوا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يهجر) .

وفي صحيح البخاري ج٤ ص ٣١ (فقالوا هجر رسول الله صلى الله عليه وسلم) .

وهذا ما يؤكده حديث أبي بكر أحمد بن عبد العزيز الجواهري ، حيث يروي عن ابن عباس أنه قال : " لما حضر رسول الله الوفاة ، وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب ، قال رسول الله [صلى الله عليه وآله] : ائتوني بداوة وصحيفة أكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده ، قال : فقال عمر كلمة **معناها** أن الوجع قد غلب على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) . ثم قال [أي عمر] : عندنا القرآن ، حسبنا كتاب الله ! .كتاب السقيفة لأبي بكر أحمد بن عبد العزيز الجواهري .

٣. المعارضون كانوا يرددون ويقولون ان رسول الله يهجر ، وبالحقيقة كما تقدم أن ما كانوا يرددونه هو كلام عمر بن الخطاب فهم مجرد يقولون ما قال عمر ، فتبين إلى هنا أن قائل كلمة (ان رسول الله يهجر او هجر رسول الله) هو عمر بن الخطاب وتابعه عليها الاخرون .

٤. الكلام الذي مر واضح جداً ان المعارضة قالت هجر رسول الله وهذا في الصحيحين ، ومن ضمن المعارضة بل زعيمهم هو عمر بن الخطاب فصريح الأحاديث أن الآخرين كانوا يرددون قوله .
ولكن زيادة في اليقين نذكر قول بعض العلماء من اهل السنة والجماعة الذين اعترفوا بأن قائل هذه الكلمة هو عمر بن الخطاب :

يقول ابن تيمية : وأما عمر فاشتبه عليه هل كان قول النبي صلى الله عليه وسلم من شدة المرض أو كان من أقواله المعروفة والمرض جائز على الأنبياء ولهذا قال ماله أهجر فشك في ذلك و لم يجزم بأنه هجر . منهاج السنة النبوية ، ج٣، ص٥٣٣ .
فهنا يعترف ابن تيمية ان قائل كلمة الهجر هو عمر بن الخطاب ، ولكنه يقولها بالاستفهام (أهجر) وسنتحدث عن هذا ان شاء الله تعالى وهل انها جاءت بالاخبار او الاستفهام .

قال ابن حزم : إن قوما قالوا عن النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك اليوم ، ما شأنه؟ هجر . قال أبو محمد: ... فلذلك نطق عمر ومن وافقه بما نطقوا به ، مما كان سببا إلى حرمان الخير بالكتاب الذي لو كتبه لم يضل بعده . كتاب الاحكام لابن حزم ج٧ ص ٩٨٥ .

وقال ابن الاثير : : يقال: أهجر في منطقه يهجر إهجارا، إذا أفحش. وكذلك إذا أكثر الكلام فيما لا ينبغي.
والاسم: الهجر، بالضم. وهجر يهجر هجرا ، بالفتح ، إذا خلط في كلامه، وإذا هذى !. إلى ان يقول : وَمِنْهُ حَدِيثِ مرضِ النَّبيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «قَالُوا : مَا شأنُه ؟ أهَجَرَ؟» أَيِ اخْتَلَف كلامُه بِسَبَبِ المرضِ ، عَلَى سَبِيلِ

الِاسْتِفْهَامِ . أَيْ هَلْ تَغَيَّر كلامُه واخْتَلَط لِأَجْلِ مَا بِهِ مِنَ الْمَرَضِ؟ الى ان يقول : **وَالْقَائِلُ كانَ عُمَرَ** . النهاية في غريب الحديث والأثر ج ٥ ص ٢٤٦ .

وقال النووي بشرح صحيح مسلم: «أهجر، أي : اختلف كلامه بسبب المرض ، على الإستفهام ، أي : هل تغيّر كلامه واختلط لأجل ما به من المرض . ولا يجعل إخباراً فيكون من الفحش والهذيان . **والقائل عمر** ، ولا يظنّ به ذلك»(شرح صحيح مسلم. انظر: تشييد المطاعن ٢ / ٤١١).

وقال القاضي الخفاجي بشرح الشفاء : «وأما الاختلاف الذي وقع عنده ، كما ورد في الأحاديث الصحيحة من أن النبي صلّى اللّه عليه وسلّم قال في مرضه : ائتوني بدواة أكتب لكم كتاباً لا تضلّون بعدي ، **فقال عمر** : **إنّ الرجل ليهجر حسبنا كتاب اللّه** ، فلغط الناس ، فقال : اخرجوا عني ، لا ينبغي التنازع لديّ . فقال ابن عباس : الرزيّة كلّ الرزيّة ما حال بيننا وبين كتاب رسول اللّه »(نسيم الرياض في شرح شفاء القاضي عياض ٤ / ٢٧٨).

فالحادثة هي تنبأ بنفسها عن نفسها ، بأنّ قائل تلك الكلمة القارصة في حقّ الجناب الأقدس للنبيّ الأعظم (صلى الله عليه وآله) لم يكن سوى عمر بن الخطاب ، وبقية الصحابة المعارضين تبعوه .

ولكي تزدد يقينا بأن قائل تلك الكلمة هو عمر بن الخطاب اليك جملة من صور هذه الحادثة يمكنك الجمع بينها لتنتهي إلى هذه النتيجة :

ففي الرواية التي يرويها البخاري في باب كراهية الخلاف ج٨ص ١٦١ جاء ما نصّه : ((وأختلف أهل البيت فاختصموا، فمنهم مَن يقول : قرّبوا يكتب لكم رسول الله (صلى الله عليه وآله) كتاباً لن تضلوا بعده، ومنهم من يقول ما قال عمر، فلمّا أكثروا اللغط والاختلاف عند النبي (صلى الله عليه وآله) قال لهم : (قوموا عنّي) (انتهى).

فهذه الرواية، لم تصرّح باسم قائل مناهض في الواقعة لمسألة تقديم الكتاب ليكتبه رسول الله (صلى الله عليه وآله) سوى عمر، وأن الذين تكلموا في هذا الجانب إنّما كانوا يتابعون في ذلك ما قاله عمر .

فالسؤال : الذي ينبغي الإجابة عليه هنا هو : ماذا قال عمر؟

والجواب : إنّ بعض الروايات - كرواية البخاري في (باب قول المريض قوموا عنّي) ج٧ ص٩ - تصرّح بأن عمر قال : إنّ النبي (صلى الله عليه وآله) غلبه الوجع، وعندنا كتاب الله حسبنا .

وبعض الروايات حين لا تذكر بأنّ القائل هو عمر، تصرّح بأنّ الكلمة التي قيلت في وجه النبي هي كلمة (يهجر)، كما في هذه الرواية التي يرويها مسلم في صحيحة في باب ترك الوصية ج٥ص٧٦ : ((... قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) ائتوني بالكتف والدواة (أو اللوح والدواة) أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده ابداً، فقال أنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) يهجر)) (انتهى).

فإذا جمعنا بين هذه الرواية والرواية التي رواها البخاري – وهي ممّا رواه مسلم أيضاً في نفس الباب المشار إليه سابقاً – التي تقول أنّه كان هناك فريقان عند رسول الله (صلى الله عليه وآله) بعضهم يقول قدموا لرسول الله (صلى الله عليه وآله) يكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً، وبعضهم يقول ما قال : عمر .
نخرج بنتيجة – بلحاظ أنّه لم يكن قول هؤلاء سوى ترديد لما قاله عمر . وقد كان من قولهم (بصريح الرواية المتقدمة) كلمة (يهجر) – إنّ ما قاله عمر في وجه رسول الله (صلى الله عليه وآله) إنّما هو كلمة (يهجر) لا غير .
هذا هو الذي يقتضيه الجمع بين هذه الروايات، وهي لا تحتاج إلى كثير عناء للوصول إلى هذه النتيجة .

إذن نخرج بنتيجتين واضحتين لحد الان وهما :

١. أن عمر بن الخطاب هو واتباعه من الصحابة عارضوا كتابة الكتاب ، وعصوا امر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلم يمتثلوا بإحضار الكتاب .

٢. عمر بن الخطاب اتهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالهجر وتابعه بعض الصحابة على ذلك .

فما معنى كلمة هجر؟

فلنراجع كتب اللغة ونراها ماذا تقول عن هذه الكلمة وما هي خطورتها :

قال في مصباح المنير : ((هَجَرَ) الْمَرِيضُ فِي كَلَامِهِ (هَجْراً) أَيْضاً خَلَطَ و هَذَى و (الْهُجْرُ) بِالضَّمِّ الفُحْشُ وَ هُوَ اسْمٌ مِنْ (هَجَرَ) (يَهْجُرُ) مِنْ بَابِ قَتَلَ وَ فِيهِ لُغَةٌ أُخْرَى (أَهْجَرَ) فِى مَنْطِقِهِ بِالْأَلِفِ إِذَا أَكْثَر مِنْهُ حَتَّى جَاوَزَ مَا كَانَ يَتَكَلَّمُ بِهِ قَبْلَ ذَٰلِكَ) المصباح المنير للفيومي ج ١ ص ٦٣٤.
وقال في لسان العرب : (الْهُجْرُ: الْقَبِيحُ مِنَ الْكَلَام ،،،، الهُجْرُ: الهَذيان ، إلى ان يقول : وَقَدْ هَجَر المريضُ. وَرُوِيَ عَنْ إبراهيم أَنه قَالَ فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هذَا الْقُرْآنَ مَهْجُوراً ، قَالَ: قَالُوا فِيهِ غَيْرَ الْحَقِّ، أَلم ترَ إِلى الْمَرِيضِ إِذا هَجَرَ قَالَ غَيْرَ الْحَقِّ؟) لسان العرب ج ٥ ص ٢٥٣ .

وقال ابن فارس : (الهجرُ : الهذيان ، يقال : هجر الرجل . والهُجر : الإفحاش في المنطق . يقال : أهجر الرجل في منطقه) مجمل اللغة ج١ ص ٨٩٩.

بل صرح سفيان الثوري راوي الحديث أن المراد بهجر هذى فقد جاء في مسند أحمد بن حنبل قال : (حدثنا سفيان عن سليمان بن أبي مسلم خال ابن أبي نجيح سمع سعيد بن جبير يقول قال ابن عباس يوم الخميس وما يوم الخميس

ثم بكى حتى بل دمعه وقال مرة دموعه الحصى قلنا يا أبا العباس وما يوم الخميس قال اشتد برسول الله صلى الله عليه وسلم وجعه فقال ائتوني أكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده أبدا فتنازعوا ولا ينبغي عند نبي تنازع فقالوا ما شأنه أهجر **قال سفيان يعني هذى!**) مسند أحمد بن حنبل ج ١ ص ٢٢٢ رقم الحديث ١٩٣٦ ، وفي جامع المسانيد والسنن ج٣٠ ص ٢٦٤ قال في الهامش إسناده صحيح .

فالهجر هو الخروج عن الحالة الطبيعيّة للإنسان وتركها بمرض أو غضب او غيرهما ، فيتكلم بهذيان او باطل ، ويصبح يخلط بكلامه ، وهذا معنى قول (غلبه الوجع) أي تغلب عليه المرض فخرج عن حالته الطبيعية .

جاء في صحيح البخاري ج ١ ص (٣٦ / ٣٧) : (قال عمر : إن النبي صلى الله عليه وسلم غلبه الوجع ، وعندنا كتابُ الله حسبنا) .

وانّ من الواضح جداً لكلّ عاقل ومنصف أن كلمة (غلبة الوجع) هي عين معنى (يهجر) ، ولكنها معدلة كما هو واضح لرفع اللوم عن قائلها ، وفتح باب الاحتمالات في المراد منها ، وماذا كان يقصد قائلها وما إلى ذلك ، تعمية للحقيقة وتغطية على تصرفات السلف وأعمالهم وأقوالهم .

ولذلك إقرأ وتعجب مما ينقله العيني حيث يقول : قَالَ : وَأَكْثر الْعلمَاء على أَنه يجوز عَلَيْهِ الْخَطَأ فِيمَا لم ينـــزل عَلَيْهِ فِيهِ الْوَحْي ، وَأَجْمعُوا كلهم على أَنه لَا يقر عَلَيْهِ . قَالَ : وَمَعْلُوم أَنه صلى الله عَلَيْهِ وَسلم ، وَإِن كَانَ قد رفع دَرَجَته فَوق الْخلق كلهم ، فَلم يتنـــزه من الْعَوَارِض البشرية ، فقد سَهَا فِي الصَّلَاة ، فَلَا يُنكر أَن يظنّ بِهِ حُدُوث بعض هَذِه الْأُمُور فِي مَرضه ! ، فَيَتَوَقَّف فِي مثل هَذِه الْحَال حَتَّى يَتَبَيَّن حَقِيقَته ، فلهذه الْمعَانِي وَشبههَا توقف عمر! . عمدة القاري شرح صحيح البخاري ج ٢ ص ١٧١ .

فمن هنا اتضح انهم فهموا ان غلبه الوجع اي تغلب الالم على عقله فصار يهذي ــ والعياذ بالله ــ وهو مفاد كلمة هجر او يهجر .

ومن هنا من كان يشك أن عمر بن الخطاب قال هجر او لم يقل فلا يشك انه قال غلبه الوجع لتصريح البخاري بذلك و معنى غلبه الوجع وهجر واحد كما رأيت من كتب اللغة وكلام العلماء .

وبعد ان عرفنا قباحة الكلمة وخطورتها ، نسأل يجوز ان يظن المسلم ويعتقد ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ممكن ان يهجر ويهذي والعياذ بالله؟

الجواب : من كان يعرف مقام الرسالة و شأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وفهم كتاب الله لن يظن ذلك طرفة عين .

فلا يوجد مسلم يحترم دينه ونبيه ومع ذلك يصفه بأنه يهذي .

قال القاضي عياض : (لا يليق به صلى الله عليه [و آله] وسلم الهذيان ولا قول غير مضبوط في حال من حالاته عليه الصلاة والسلام ، وإنما جميع ما يتكلم به حق ، وصحيح ولا سهو فيه ولا خلف ولا غفلة ولا غلط ، في حال صحته و مرضه ونومه ويقظته ورضاه وغضبه) مشارق الأنوار ج ٢ ص ٤٤٩ .

قال القياض وهو يتحدث عن النبي صلى الله عليه واله وسلم : مَعْصُومٌ أَنْ يَكُونَ مِنْهُ مِنَ الْقَوْلِ أَثْنَاءَ ذَلِكَ مَا يَطْعَنُ فِي مُعْجِزَتِهِ وَيُؤَدِّي إِلَى فَسَادٍ فِي شَرِيعَتِهِ مِنْ هذيان أو اختلال في كَلَامٍ. وَعَلَى هَذَا لَا يَصِحُّ ظَاهِرُ رِوَايَةِ مَنْ رَوَى فِي الْحَدِيثِ «هَجَرَ» إِذْ مَعْنَاهُ هَذَى، يُقَالُ: «هَجَرَ هُجْرًا» إِذَا هَذَى، «وَأَهْجَرَ هُجْرًا» إِذَا أَفْحَشَ. «وَأَهْجَرَ» تَعْدِيَةُ «هَجَرَ» . الشفا بتعريف حقوق المصطفى ج٢ ص٤٣٢ ـــ ٤٣٣ .

وقال ابن حجر العسقلاني : (والهجر بالضم ثم السكون الهذيان. والمراد به هنا ما يقع من كلام المريض الذي لا ينتظم ولا يعتدّ به لعدم فائدة ، ووقوع ذلك من النبي صلّى اللّه عليه وسلّم مستحيل ، لأنه معصوم في صحّته ومرضه ، لقوله تعالى (وَما يَنْطِقُ عَنِ الْهَوى)ولقوله صلّى اللّه عليه وسلّم : إني لا أقول في الغضب والرضى إلاّ حقّاً) فتح الباري في شرح صحيح البخاري ٨ / ١٠١.

وقال العيني في شرح البخاري: (وفيكتاب الجهاد هجر بدون الهمزة . وفي رواية الكشميهني هناك هجر هجر رسول اللّه بتكرار لفظ هجر . وقال عياض : معنى هجر أفحش ، ويقال هجر الرجل إذا هذى وأهجر إذا أفحش.

قلت : نسبة مثل هذا إلى النبي لا يجوز ، لأن وقوع مثل هذا الفعل عنه عليه الصّلاة والسلام مستحيل ، لأنه معصوم في كلّ حاله في صحته ومرضه لقوله تعالى: (وَما يَنْطِقُ عَنِ الْهَوى) ولقوله: إنى لا أقول في الغضب والرضا إلاّ حقّاً) عمدة القاري في شرح البخاري ١٨ / ٦٢.

فنسبة النبي صلّى اللّه عليه وآله إلى الهجر هذا هو الكفر ، واللّه تعالى يقول: (إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُول كَريم * ذي قُوَّة عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكين * مُطاع ثَمَّ أَمين * وَما صاحِبُكُمْ بِمَجْنُون) ويقول تعالى (إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُول كَريم * وَما هُوَ بِقَوْلِ شاعِر قَليلاً ما تُؤْمِنُونَ * وَلا بِقَوْلِ كاهِن قَليلاً ما تَذَكَّرُونَ * تَنْزيلٌ مِنْ رَبِّ الْعالَمينَ) ويقول تعالى : (ما ضَلَّ صاحِبُكُمْ وَما غَوى * وَما يَنْطِقُ عَنِ الْهَوى * إِنْ هُوَ إِلاّ وَحْيٌ يُوحى * عَلَّمَهُ شَديدُ الْقُوى) .

فهذا الاتهام لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والتشكيك بسلامة عقله يعد ردا لهذه الآيات وطعنا بعصمته ، وهل كان عمر بن الخطاب غافلا عن ما يقوله بحق النبي صلى الله عليه وآله وسلم وناسيا لهذه الآيات القرآنية الصريحة؟

وسيأتيك ذكر موقفين ان شاء الله تعالى تجد عمر بن الخطاب يتصرف بما يناقض موقفه هذا فانتظره .

المسلمون الذين يستنكرون على الاستاذ الفرنسي الذي اتهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لماذا لا يستنكرون اتهام عمر بن الخطاب لنبيهم ؟!

للأسف الشديد لم يستنكر احد منهم ذلك ودافعوا دفاع مستميت عن عمر بن الخطاب وليس عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذي خرج من الدنيا متألما من كلمة عمر بن الخطاب .

بل الغريب جداً أن هناك من المسلمين من يعتبر مخالفة عمر بن الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واتهامه له بالهذيان دليل على فقاهة عمر بن الخطاب! ومن رحمة الله في الأمة!!

يقول النووي في شرح حديث رزية الخميس : أما كلام عمر رضي الله عنه، فقد اتفق العلماء المتكلمون في شرح الحديث على أنه من دلائل فقه عمر وفضائله ودقيق نظره؛ لأنه خشي أن يكتب صلى الله عليه وسلم أمورا ربما عجزوا عنها واستحقوا العقوبة عليها لأنها منصوصة لا مجال للاجتهاد فيها، فقال عمر: حسبنا كتاب الله. إلى أن يقول : وأراد الترفيه على رسول الله صلى الله عليه وسلم. اهـــ.

يعني عمر بن الخطاب كان رحيما حريصا بالامة فعارض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من أجل ان لا يصعب عليهم النبي الأمور!!

وما هو الدليل على فقاهة عمر هل موافقته لرسول الله ام مخالفته له ؟ النووي يعتبر الدليل على فقاهة عمر بن الخطاب مخالفته ومعارضته لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم!!

ومن ثم يذكر النووي ان عمر بن الخطاب كان يمزح مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم!! وجده مهموم فاراد يحكي له نكتة ، يريد ان يخفف عليه فيتهمه بالهذيان ويثير غضب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، انظروا كيف يجعل مخالفة عمر بن الخطاب لرسول الله دليل على فقاهته ودقيق نظره .

وهذا يقوله البعض ان عمر بن الخطاب اراد ان لا يثقل على رسول الله صلى الله عليه واله ! ، فلو كان هذا هدفهم لما لغطوا ورفعوا صوتهم وعصوه وجعلوه يغتم لذلك ويطردهم ، فقد جاء في مسند احمد : فاختصموا فمنهم من يقول قربوا يكتب لكم رسول ومنهم من يقول ما قال عمر ، فلما اكثروا اللغط والاختلاف وغُمَّ رسول الله قال قوموا عني ! . مسند احمد ج٥ ص ١٣٥ قال محقق الكتاب شعيب الارنأووط : اسناده صحيح على شرط الشيخين ، وقال في الهامش : وغم : من الاغتمام وهو احتباس النفس عن الخروج! ، من الغم : التغطية والستر .

فهذا التبرير فاشل ولا يقوله عاقل .

بل اعظم من ذلك يجعلون من رحمة الله أن عمر بن الخطاب تدخل وعارض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأنقذ الأمة ، فالامة ليس كتاب رسول الله ينقذها ، بل ينقذها مخالفة عمر بن الخطاب لرسول الله ، قد تقولون

هل فعلاً هناك من يعتقد ان معارضة عمر لرسول الله رحمة الهية ، اقول لكم نعم راجعوا كتاب (شرح صحيح البخاري ج١، ص٢٣١) لمحمد بن صالح العثيمين، دار الطبري للنشر والتوزيع ، سنة الطبع ١٤٢٩هـ

انظروا ماذا يقول هذا الرجل؟ يقول: (اختلف العلماء في قوله لا تضلوا بعده، فإن كان المراد لا تضلوا بعده في الشريعة فلا شك أن كتاب الله خير من ذلك!! لأن كتاب الله أفضل مما سيكتب!! وإن أراد أن يكتب كتاباً في الخلافة فإن من رحمة الله أن الله تعالى قدر أن يعارض عمر حتى يكون انتخاب أبي بكر برضا من الصحابة)

شاهدوا ابن عثيمين يوافق عمر بن الخطاب ويرى معارضته للنبي صلى الله عليه وآله وسلم رحمة إلهية!!

يعني ماذا يريد أن يقول ؟ يريد أن يقول أن رسول الله كان يريد أن يعين خليفة ولو فعل لكان شرا ولكن عمر بن الخطاب كان اعلم وابصر من رسول الله صلى الله عليه واله وسلم فعارض رسول الله ، يعني جزاك الله خير يا عمر لأنك عارضت رسول الله فلو لم تفعل لحدث ما حدث من الشر والعياذ بالله من هذا الفهم السقيم .

عموما فمن تأمل في ألفاظ هذا الخبر ، يعلم أن عمر بن الخطاب هو أول من تكلم بأنه – صلى الله عليه وآله – يهجر – نعوذ بالله – وإن قاله غيره أيضا ، قاله متابعة له . والتعبير بأنه قد غلبه الوجع ، من النقل بالمعنى لا باللفظ تحرزا عن نقل تلك الكلمة القاسية ، ولو سلم انه لم يزد على قوله : إن النبي غلبه الوجع! أفليس معناه أنه – صلى الله عليه وآله وسلم – يهجر أو يغلط ؟ واصبح من المرض لا يدري ما يقول ؟

أليس هذا رد أمر رسول الله – صلى الله عليه وآله – ومعارضة صريحة ؟ أترى في هذا الكلام دلالة على غلبة الوجع وعدم الاعتداد بكلام المتكلم به ، لو صدر مثله عن مريض يجوز أن يقال مثل هذا فيه ؟

بالله يا أخي تأمل في مغزى هذه الحادثة .

فليس لأحد من الصحابة ، كائنا من كان ، رد قول النبي – صلى الله عليه وآله –، لا سيما وهو يريد كتابة وصية لن تضل الأمة بعدها أبدا .

وما معنى الاجتهاد قبال الامر الصريح الصادر عن النبي الذي قال الله تعالى فيه : " ما ضل صاحبكم وما غوى ، وما ينطق عن الهوى ، إن هو إلا وحي يوحى. " وقال تعالى : " ما آتاكم الرسول فخذوه ، وما نهاكم عنه فانتهوا "

فانظر بعين الانصاف تأولات القوم في هذه الرزية . فهذه حاشية السندي على صحيح البخاري، باب كتابة العلم ، فاقرأ فيها تأويلاتهم فيها حتى تعرف أنهم لم يأتوا في هذا الباب بشئ تسكن عنده النفس ، ويقبله المنصف .

فالذي لا يعتريه الشك ان كلامه صريح في رد رسول الله – صلى الله عليه وآله – ، ومعارضته له كما يقول ابن عثيمين (أن الله تعالى قدر أن يعارض عمر) فعمر بن الخطاب عارض رسول الله صلى الله عليه واله وسلم ، وان الأمة حرمت بذلك عن الامن من الضلال ، و لم يرد ابن عباس بقوله : الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله –

صلى الله عليه وآله – وبين كتابه إلا هذا ، لان حرمان الأمة من الامن من الضلال ، رزية ليس فوقها رزية ، ترتب عليها جميع المصائب والاختلافات .

هل يوجد فرق بين الهجر بالاخبار او الاستفهام ؟

حتى يبرروا لعمر بن الخطاب فعلته هذه قالوا عمر بن الخطاب لم يقل ذلك على سبيل الاخبار (هجر او يهجر) بل قاله على شكل الاستفهام (أهجر؟)

يقول ابن تيمية : وأما عمر فاشتبه عليه هل كان قول النبي صلى الله عليه وسلم من شدة المرض أو كان من أقواله المعروفة والمرض جائز على الأنبياء ولهذا قال ماله أهجر فشك في ذلك و لم يجزم بأنه هجر . منهاج السنة النبوية، ج٣، ص٥٣٣ .

وقال ابن الأثير : يقال: أهجر في منطقه يهجر إهجارا ، إذا أفحش . وكذلك إذا أكثر الكلام فيما لا ينبغي .
والاسم: الهجر، بالضم. وهجر يهجر هجرا ، بالفتح، إذا خلط في كلامه ، وإذا هذى .
إلى ان يقول :
ومنه حديث مرض النبي صلى الله عليه وسلم " قالوا : ما شأنه؟ أهجر؟ " أي اختلف كلامه بسبب المرض ، على سبيل الاستفهام . أي هل تغير كلامه واختلط لاجل ما به من المرض؟
وهذا أحسن ما يقال فيه ، ولا يجعل إخبارا ، فيكون إما من الفحش أو الهذيان . والقائل كان عمر ، ولا يظن به ذلك . النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ج ٥ ص ٢٤٥ .

فابن الاثير وابن تيمية وغيرهم يعترفون بقباحة الكلمة (يهجر) ولكنهم يذكرون هذا التبرير ويقولون عمر بن الخطاب قالها مستفهما ، يعني قال هل هجر رسول الله؟! .
فهل هذا التبرير نافع؟
نقول نحن لا نجد فرقا بين ان يقول عمر اهجر رسول الله ؟ او هجر رسول الله ، لأن كلاهما تشكيك بسلامة عقل النبي واتهام له بالهذيان ، فالذي يخلط في كلامه وهو في حال المرض يقال عنه أنّه يهذي ، وإذا أردنا أن نحول هذا المعنى إلى الاستفهام فنقول : ماذا به، هل تراه يهذي؟ فلا يوجد فرق في نسبة الهذيان من هذه الكلمة سواء قيلت إخباراً وإنشاءاً .
بل نجد أنّ البخاري قد سد عليهم باب هذا التبرير البارد وافشل هذا التبرير و هذه التأويلات والتمحلات وذكر رواية له في باب جوائز الوفد من كتاب السير والجهاد ج٤، ص ٣١ تفيد بأنّ هذه الكلمة قد قيلت في وجه النبي

الأقدس (صلى الله عليه وآله) إخباراً لا إنشاء : ((.. فقال: اشتد برسول الله (صلى الله عليه وآله) وجعه يوم الخميس ، فقال : (ائتوني بكتاب أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً)، فتنازعوا ، ولا ينبغي عند نبي تنازع ، فقالوا : **هجر** رسول الله (صلى الله عليه وآله)..) (انتهى) .

وكذلك رواية مسلم التي تشير بأنّ هذه اللفظة قد قيلت بالإخبار وليس بالاستفهام : (إنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) **ليهجر**) دون الإنشاء .

بل إذا اردنا أن نسد عليهم الباب أكثر نقول ابن تيمية وغيره اعتمدوا على رواية في صحيح البخاري جاءت بصيغة الاستفهام (قالوا أهجر رسول الله) فقبل كلمة هجر همزة الاستفهام ، ولكن لو راجعنا صحيح البخاري في نسخة الحافظ اليونيني وهي اصح النسخ ، الرواية في المجلد الرابع صفحة ٧٠ باب هل يُستشفع الى اهل الذمة ومعاملتهم ، الرواية كما تقول : يقول عن ابن عباس انه قال يوم الخميس وما يوم الخميس ثم بكى حتى خضب دمعه الحصباء ، فقال : اشتد برسول الله وجعه يوم الخميس، فقال أأتوني بكتاب اكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده ابدا ، فتنازعوا ولا ينبغي عندي تنازعٌ ، فقالوا هجر رسول الله . هذه الالف غير موجودة ، همزة الاستفهام أيضاً غير موجودة .
ففي اصل وجود همزة الاستفهام هناك شك ، وعلى كلٍ ، نحن لا نجد فرقا سواء كان عمر بن الخطاب يقول هجر رسول الله او قال هل هجر رسول الله ، فكلاهما شك في سلامة عقل النبي صلى الله عليه وآله وسلم واتهام له بالهذيان .

غير اتهام النبي بالهذيان ماذا فعلوا ؟

لم يكن ما فعله عمر بن الخطاب واتباعه فقط اتهام للنبي صلى الله عليه و آله و سلم بالهذيان بل فعلهم يتضمن امور أخرى وهي :

اولا : اتهموا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالهذيان وهذا مر بيانه .

ثانياً : عصوا الله ورسوله بأنهم لم يمتثلوا لأمره باحضار الكتاب وبالتالي فيشملهم قوله تعالى (وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ)[سورة النساء ١٤]
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمرهم بإحضار الكتاب لكنهم خالفوه وعصوه بل وقفوا امام تنفيذ طلبه وعارضوه !!! .

ثالثاً : رفعوا صوتهم فوق صوت النبي صلى الله عليه وآله وسلم!! إلى مستوى اللغط مخالفين بذلك قوله تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ (٢) إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ ۚ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ (٣) إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ (٤)[سورة الحجرات ٢ - ٤]

اما الدليل على أنهم رفعوا صوتهم فوق صوت النبي صلى الله عليه وآله وسلم فهو ما جاء في صحيح البخاري (ومنهم من يقول ما قال عمر فلما **أكثروا اللغط**) وأيضاً في صحيح البخاري (قال عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم غلبه الوجع وعندنا كتاب الله حسبنا فاختلفوا و**كثر اللغط**) .

ما معنى اللغط ؟

جاء في كتاب نسيم الرياض للقاضي عياض ج٦ ص ٦٩ : ((وكثر اللغط) وهو ارتفاع الصوت ، واختلاطها حتى لا تكاد تفهم!).

وقال شمس الدين البِرْماوي : (ولغطهم) بمعجمةٍ ، ثم مهملةٍ: الصَّوت، والصِّياح ! . كتاب اللامع الصبيح بشرح الجامع الصحيح ج ١١ ص ٤٦٠ .

وفي عمدة القاري شرح صحيح البخاري ج١٨ ص ٨١ قال العيني : (قوله " ولغطهم " اللغط بفتح الغين المعجمة وبالطاء المهملة : الصوت والصياح!!).

إذن عمر بن الخطاب واتباعه رفعوا صوتهم وتشابكت اصواتهم وارتفعت إلى حد الصياح بحضور رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم!!

والان اريد ان أذكر لكم أمرا ، يخص قوله تعالى ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ (٢) إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ ۚ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ (٣) إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ) [سورة الحجرات ٢ - ٤]

هل تعلمون أن هذه الآية الكريمة نزلت توبخ ابا بكر وعمر لما رفعوا صوتهم فوق صوت النبي صلى الله عليه وآله وسلم ؟!

وهذا صريح صحيح البخاري يشير إلى أن اللذين رفعا صوتهما هما أبو بكر وعمر ففي صحيح البخاري ج٦ ص٤٦ قال :

حدثنا يسرة بن صفوان بن جميل اللخمي حدثنا نافع بن عمر عن ابن أبي مليكة قال كاد الخيران ان يهلكا أبا بكر وعمر رضي الله عنهما رفعا أصواتهما عند النبي صلى الله عليه وسلم حين قدم عليه ركب بني تميم فأشار أحدهما بالأقرع بن حابس اخي بني مجاشع وأشار الآخر برجل آخر قال نافع لا احفظ اسمه فقال أبو بكر لعمر ما أردت الا خلافي قال ما أردت خلافك فارتفعت أصواتهما في ذلك فأنزل الله يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم الآية .

وقتها لما أشكلنا عليهم قالوا إن رفعهم الأصوات كان قبل نزول الآية الكريمة ولذلك لايعد فعلهم معصية ولا تحبط اعمالهم .

ولكن معلوم أن في رزية الخميس عمر بن الخطاب واتباعه رفعوا اصواتهم فوق صوت النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعد نزول هذه الآية الكريمة و لم يعد هذا العذر ينفعهم ، فهم بذلك ارتكبوا معصية عظيمة وحبطت جميع اعمالهم .

والان نبين لكم ما ذكره المفسرون في هذه الآية الكريمة :

قال العلامة الطاهر ابن عاشور : وَظَاهِرُ الْآيَةِ التَّحْذِيرُ مِنْ حَبْطِ جَمِيعِ الْأَعْمَالِ ؛ لِأَنَّ الْجَمْعَ الْمُضَافَ مِنْ صِيَغِ الْعُمُومِ، وَلَا يَكُونُ حَبْطُ جَمِيعِ الْأَعْمَالِ إِلَّا فِي حَالَةِ الْكُفْرِ؛ لِأَنَّ الْأَعْمَالَ الْإِيمَانَ.

فَمَعْنَى الْآيَةِ: أَنَّ عَدَمَ الِاحْتِرَازِ مِنْ سُوءِ الْأَدَبِ مَعَ النبيء صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ هَذَا النَّهْيِ، قَدْ يُفْضِي بِفَاعِلِهِ إِلَى إِثْمٍ عَظِيمٍ ، يَأْتِي عَلَى عَظِيمٍ مِنْ صَالِحَاتِهِ ، أَوْ يُفْضِي بِهِ إِلَى الْكُفْرِ! . الطاهر بن عاشور "التحرير والتنوير" (ج ٢٦ ص ٢٢١)

وقال الشوكاني : والمعنى : لا ترفعوا أصواتكم إلى حدّ يكون فوق ما يبلغه صوت النبيّ صلى الله عليه وسلم. قال المفسرون: المراد من الآية: تعظيم النبي وتوقيره، وأن لا ينادوه كما ينادي بعضهم بعضاً {وَلاَ تَجْهَرُواْ لَهُ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ } أي: لا تجهروا بالقول إذا كلمتموه، كما تعتادونه من الجهر بالقول إذا كلم بعضكم بعضاً. قال الزجاج: أمرهم الله بتجليل نبيه، وأن يغضوا أصواتهم، ويخاطبوه بالسكينة والوقار، إلى ان يقول : وليس المراد برفع الصوت وبالجهر في القول هو ما يقع على طريقة الاستخفاف ، فإن ذلك كفر ، وإنما المراد أن يكون الصوت في نفسه غير مناسب لما يقع في مواقف من يجب تعظيمه وتوقيره. فتح القدير للشوكاني ج٥ ص٧٠ .

واللطيف أن محمد القاسمي في تفسيره عند تفسير هذه الآية الكريمة ذكر نفس كلمة لغط! فقال : {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ} أي: إذا نطق ونطقتهم ، فلتكن أصولتكم قاصرة عن الحد الذي يبلغه

صوته ، ليكون عالياً لكلامكم ، لا أن تغمروا صوته بلغطكم ، وتبلغوا أصواتكم إلى أسماع الحاضرين قبل صوته ، فإن ذلك من سوء الأدب بمكان كبير : {وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ} أي : بل تعمدوا في مخاطبته القول اللين ، القريب من الهمس ، الذي يضادّ الجهر ، كما تكون مخاطبة المهيب المعظم . محاسن التأويل ج ٨ ص ٥١٧ .

ما كانت ردة فعل النبي ؟

ذكرنا أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم طلب في آخر أيامه ورقة وقلم ليكتب لأمته كتاباً لن يضلوا من بعده أبدا ، فكانت الفاجعة أن مجموعة من الصحابة على رأسهم عمر بن الخطاب اعترضوا واتهموا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالهذيان وعصوه فلم يمتثلوا لأمره ، وفرضوا مشروعا قبال المشروع النبوي وقال عمر بن الخطاب ان رسول الله يهجر يعني يهذي حسبنا كتاب الله يعني يكفينا كتاب الله ولا نحتاج للكتاب الذي سيكتبه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم!!

فما كانت ردة فعل النبي صلى الله عليه وآله وسلم؟

الجواب : ردود فعل النبي صلى الله عليه وآله وسلم كانت بعدة امور :

أولا : ظهر الغم والحزن على نفسه روحي له الفداء ، فلقد ضيقوا عليه نفسه باتهامهم له بالهذيان ومخالفتهم لوصيته فانقل لكم هذا النص الذي ذكرته سابقا وانظروا الحاشية يشرح لكم معنى (غم رسول الله)
جاء في مسند أحمد بن حنبل ج ٥ ص ١٣٥ : عن ابن عباس قال لما حضرت رسول الله صلى الله عليه وسلم الوفاة قال هلم أكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب [ص: ٣٢٥] فقال عمر إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد غلبه الوجع وعندكم القرآن حسبنا كتاب الله قال فاختلف أهل البيت فاختصموا فمنهم من يقول يكتب لكم رسول الله صلى الله عليه وسلم أو قال قربوا يكتب لكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنهم من يقول ما قال عمر فلما أكثروا اللغط والاختلاف وغم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قوموا عني فكان ابن عباس يقول إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب من اختلافهم ولغطهم .

قال محقق الكتاب شعيب الأرناؤوط : إسناده صحيح على شرط الشيخين .
وقال : وقوله اللغط : الصوت والجلبة .

وغُمَّ : من الاغتمام وهو احتباس النفس عن الخروج ، من الغم : التغطية والستر.
والرزية : هي المصيبة. انتهى .

إذن هؤلاء آذوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واغضبوه بحيث امتلئ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم غما وحسرة ، فأين الذين يغضبون لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟!

وطبعاً الذين يؤذون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هذا جزاءهم (إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذابا مهينا)[سورة الأحزاب ٥٧]

وقالت عائشة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : : مَن أَغْضَبَكَ، يا رَسولَ اللهِ أَدْخَلَهُ اللَّهُ النَّارَ . رواه مسلم في صحيحه .

فتصوروا آخر كلمات يسمعها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من أمته جزاءا له عصيان اوامره والتشكيك بعقله ورفع الصوت فوق صوته فكان ذلك سبب دخول الغم والحزن عليه .

ثانياً طردهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ففي صحيح البخاري (قال عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم غلبه الوجع وعندنا كتاب الله حسبنا فاختلفوا وكثر اللغط قال قوموا عني) وفي صحيح البخاري ايضا (فاختصموا منهم من يقول قربوا يكتب لكم النبي صلى الله عليه وسلم كتابا لن تضلوا بعده ومنهم من يقول ما قال عمر فلما أكثروا اللغو والاختلاف عند النبي صلى الله عليه وسلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قوموا) وفي صحيح مسلم (قال دعوني فالذي انا فيه خير) وفي صحيح البخاري (فقالوا هجر رسول الله صلى الله عليه وسلم قال دعوني فالذي انا فيه خير مما تدعوني إليه) .

وفي صحيح البخاري ايضا (فقال ذروني فالذي انا فيه خير مما تدعوني إليه) .

فرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فعله حجة شرعية وهو لا يطرد مؤمنا (وما أنا بطارد المؤمنين)[سورة الشعراء ١١٤] فمن طردهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليسوا من اهل الإيمان .

فمن انجازات هذه الفئة وسيدهم عمر بن الخطاب :

١. حرمان الأمة من كتابة الكتاب الذي كان سيعصم الأمة من الضلالة إلى يوم القيامة ، فكانوا بذلك سبب في ضلالة وضياع الأمة .

قال ابن حزم : إن قوما قالوا عن النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك اليوم ، ما شأنه ؟ هجر.

قال أبو محمد : هذه زلة العالم التي حذر منها الناس قديما ، وقد كان في سابق علم الله تعالى أن يكون بيننا الاختلاف ، وتضل طائفة وتهتدي بهدى الله أخرى . فلذلك نطق عمر ومن وافقه بما نطقوا به ، مما كان سببا إلى حرمان الخير بالكتاب الذي لو كتبه لم يضل بعده ، و لم يزل أمر هذا الحديث مهما لنا وشجى في نفوسنا ، وغصة نألم لها . كتاب الاحكام لابن حزم ج٧ ص ٩٨٥ .

فعلاً كل مسلم غيور يعتصر قلبه ألما حينما يسمع أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كانت اخر كلمات يسمعها هي اتهام له بالهذيان .

٢. تسببوا باغضاب وادخال الغم على الحبيب المصطفى محمد صلى الله عليه وآله وسلم في آخر ايامه وكأنهم يشكرونه على جهاده لأجلهم فيتهمونه بعقله ويخالفون أمره .

٣. رفعوا اصواتهم فوق صوته صلى الله عليه و آله و سلم فحبط عملهم ودل ذلك ان اكثرهم لا يعقلون .

٤. اتهموا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والعياذ بالله بالهذيان وشككوا بسلامة عقله .

فهل يجب علينا ان نغضب لمن يشكك بعقل النبي صلى الله عليه وآله وسلم ويخالفه ويغضبه ويرفع صوته بحضرته ونبرر له ؟! او نغضب لغضب النبي صلى الله عليه وآله وسلم ونغضب لأجل نبينا وحبيبنا ونقف ضد من عصاه واتهمه بالهذيان ورفع صوته عليه ؟!
اختبر حقيقة اسلامك .

لكن يبقى هناك سؤال مهم وهو لماذا لم يكتب رسول الله الكتاب بعد أن طردهم ؟

يقول البعض ان مضمون هذا الكتاب ليس واجب التبليغ لأنه لو كان واجب التبليغ لما تركه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .
واقول هناك مغالطة واضحة ، نحن نعتقد ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بلغ بمضمون هذا الكتاب مرارا وتكرارا ولكن زيادة في التبليغ وليقطع الطريق امام المنافقين اراد ان يكتب ذلك كتابة ، فهو لم يترك التبليغ به بل ترك كتابة ما بلغه سابقا ، ففرق بين الامرين ، اما لماذا ترك كتابة الكتاب ؟

نترك الإجابة لابن تيمية في كتاب (منهاج السنة، ج٣، ص٥٣٣) في طبعة الأربعة مجلدات لابن تيمية ، ج٣، دار الفضيلة، وفي طبعة ثمان مجلدات (ج٦، ص٢٥) قال : (والنبي صلى الله عليه وآله قد عزم على أن يكتب الكتاب الذي ذكره لعائشة فلما رأى أن الشك قد وقع علم أن الكتاب لا يرفع الشك فلم يبقَ فيه فائدة) .

ونحن نقول إن عمر بن الخطاب شكك بعقل النبي صلى الله عليه وآله وسلم فلو كتب الكتاب فسيقول الناس كتبه وهو في حالة الهذيان فلا حجة فيه !!

وسيختلف المسلمون هل يمكن ان يقع الهذيان منه صلى الله عليه و آله و سلم ام لا ، مما يفتح بابا للطعن بنبوته صلى الله عليه و آله و سلم لذلك فلا تنفع كتابة الكتاب ، فمما لاشك ان موقف عمر بن الخطاب ومن تبعه كان سببا في حرمان الأمة من ذلك الكتاب .

وهو لم يكتب الكتاب ومع ذلك تبريرا لعمر بن الخطاب جعلوه يهذي والعياذ بالله كما ذكرنا لك ما نقله العيني حيث يقول : قَالَ : وَأَكْثَر الْعلمَاء على أنه يجوز عَلَيْهِ الْخَطَأ فِيمَا لم ينـــزل عَلَيْهِ فِيهِ الْوَحْي ، وَأَجْمعُوا كلهم على أنه لَا يقر عَلَيْهِ . قَالَ : وَمَعْلُوم أنه صلى الله عَلَيْهِ وَسلم ، وَإِن كَانَ قد رفع دَرَجَته فَوق الْخلق كلهم ، فَلم يتنـــزه من الْعَوَارِض البشرية ، فقد سَهَا فِي الصَّلَاة ، فَلَا يُنكر أَن يظنّ بِهِ حُدُوث بعض هَذِه الْأُمُور فِي مَرضه ! ، فَيتَوَقَّف فِي مثل هَذِه الْحَال حَتَّى يتَبَيَّن حَقِيقَته ، فلهذه الْمعَانِي وَشبههَا توقف عمر! . عمدة القاري شرح صحيح البخاري ج ٢ ص ١٧١ .

ما كان مضمون الكتاب الذي اراد كتابته رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟

ذكرنا أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اراد ان يكتب كتابا لن يضلوا من بعده أبدا ، فعارضه مجموعة من الصحابة واتهموه بالهجر والهذيان فغضب وطردهم و لم يكتب الكتاب .

وقد ذكروا تبريرات لهذه الجماعة الذين عارضوا كتابة الكتاب انه لو كتب هذا الكتاب لكان خلاف الرحمة الإلهية!! ، وأن مقتضى الرحمة أن لا يكتب هذا الكتب ، ولكن كان رسول الله يريد أن يكتب الكتاب ، لو كتب هذا الكتاب للزم منه العسر والحرج على الأمة وكان ينبغي أن لا يكتب هذا الكتاب . ولو كتب هذا الكتاب لهجر القرآن وأعرض عن القرآن فكان ينبغي أن لا يكتب هذا الكتاب .

يعني هذه مجموعة أمور بحسب ظاهرها خدمة للأمة ولكن بحسب واقعها طعن في رسول الله صلى الله عليه وآله ، يعني أنه ليس هو رحمة للعالمين ، لا يراعي مصالح الأمة ، ليس حريصاً على حفظ القرآن في وسط الأمة ، ولكن هؤلاء هذه الجماعة وهذه الفئة إنما جاءت حتى تكون أحرص من رسول الله وأرحم من رسول الله وأعرف بمصالح الأمة من رسول الله ، وأنهم استشرفوا المستقبل ورسول الله لم يستطع أن يستشرف ذلك .

ولكن مالذي اراد كتابته؟

اختلف العلماء وشراح الحديث على قولين :

١. أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اراد ان يكتب في الخلافة ، فالمراد ذكر أسماء الخلفاء الذين سيلون الأمر بعده .

٢. ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اراد ان يكتب كتابا لبيان الشريعة، حتى لا يقع الاختلاف في الاحكام الشرعية .

والان نذكر لكم عدة موارد من كلام العلماء :

المورد الأول : ابن الجوزي في كتابه (كشف المشكل من حديث الصحيحين، ج٢، ص٣١٥) ، قال: (اختلف العلماء في الذي أراد أن يكتب لهم على وجهين أحدهما أنه أراد أن ينص على الخليفة بعده) والثاني (أن يكتب كتاباً في الأحكام يرتفع معه الخلاف) يعني في الأحكام الشرعية ، ولكن يقول (والأول أظهر وأقوى) وقد جاء به أولاً ثم قال والأول أظهر .

يعني بحسب ظهور القرائن أن رسول الله كان يريد أن يكتب الأمر الأول لا الأمر الثاني ، يعني ابن الجوزي يرجح ان الذي اراد ان يكتبه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هو النص على أسماء الخلفاء من بعده .

المورد الثاني : الحافظ ابن حجر العسقلاني في (فتح الباري بشرح صحيح البخاري،ج١، ص٣٦٥) تحقيق البراك، دار طيبة، قال: (واختلف بالمراد بالكتاب فقيل كأن أرد أن يكتب كتاباً ينص فيه على الأحكام ليرتفع الاختلاف) هذا الذي ذكره ثانياً (وقيل بل أراد أن ينص على أسامي الخلفاء بعده حتى لا يقع بينهم اختلاف).

المورد الثالث القسطلاني في (إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، ج١، ص٣٠٩) دار الكتب العلمية، قال: (كتاباً فيه النص على الأئمة بعدي) يعني أكتب لكم كتاباً، ما هو الكتاب؟ يشرحه (فيه النص) لأن كتاب النبي أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعدي أبداً أو لا تضلون بعده أبداً. هذا الكتاب يفسره يقول ما هو المراد؟ قال: (كتاباً فيه النص على الأئمة بعدي أو أبين فيه مهمات الأحكام) أيضاً يجعل الاحتمال الاول النص على الأئمة من بعده .

المورد الرابع: السيوطي في (الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج، ج٤، ص٢٣١) حقق أصله وعلق عليه أبو إسحاق الحويني الأثري، دار ابن عفان، قال: (أكتب لكم كتاباً قيل أراد أن ينص على الخلافة في إنسان معين لأن لا يقع نزاع وفتنة) .

إذن هناك احتمالان لا ثالث لهما وهما ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اما اراد ان ينص على الخلفاء من بعده كتابةً او اراد ان يكتب في الاحكام الشرعية .

ونحن نرجح الأول ونوافق ابن الجوزي لأسباب :

اولا : رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال (اكتب لكم كتابا لن تضلوا من بعدي ابدا) يعني هذا الكتاب يجنبكم الفتنة ، ونحن لو طالعنا التأريخ ولليوم اعظم فتنة واختلاف وأول اختلاف كان في الخلافة يقول الشهرستاني في (الملل والنحل) المتوفى ٥٤٨هـ تحقيق محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، لبنان، يقول: (فأول تنازع وقع في مرضه) ثم ينقل الرواية أأتوني بكتاب وقرطاس أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعدي فقال عمر بن الخطاب أن رسول الله غلبه الوجع حسبنا كتاب الله، ثم تأتي الخلافات كلها بعد هذا الخلاف، إلى أن يقول (الخامس) الخلاف الخامس (في الإمامة، وأعظم خلاف بين الأمة خلاف الإمامة) هذا الاختلاف الذي وقع في الإمامة أعظم اختلاف، ثم يقول (إذ ما سل سيف في الإسلام على قاعدة دينية مثلما سل على الإمامة في كل زمان). يعني أين ما وجدت السيف والقتل والحروب وأين ما وجدت الفتن اصلها في قضية الإمامة (على قاعدة دينية) ومما يؤسف له أن البعض يحاول الآن أن يجعل قضية الإمامة قضية سياسية .

ثانياً : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (اكتب لكم كتابا لن تضلوا من بعدي ابدا) هذه العبارة تشكل قرينة لفظية واضحة ، لأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كرر هذه العبارة مرارا قبل حادثة رزية الخميس في الحديث المتواتر وهو حديث الثقلين فكان يردد في مواطن كثيرة كحجة الوداع وغيرها ، كان يقول : (اني تارك فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا من بعدي ابدا كتاب الله وعترتي اهل بيتي وانهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض) شاهدتم قوله (ما ان تمسكتم به لن تضلوا من بعدي ابدا) فلما قال في رزية الخميس (قربوا اكتب لكم كتابا لن تضلوا من بعدي ابدا) علمنا انه يريد ان يوصي بالكتاب واهل البيت ولكن هذه المرة كتابةً ، يعني اراد ان يستخلف في الأمة القرآن الكريم وعترته اهل بيته ، ولذلك جاء في بعض الفاظ حديث الثقلين هكذا (اني تارك فيكم خليفتين كتاب الله وعترتي اهل بيتي) والحديث صحيح السند بل ومتواتر .

فرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يريد ان يكتب كتابا في النص على الخلفاء من بعده بشكلٍ يقطع الطريق على المنافقين الذين يتطلعون الى السلطة من بعده ويريدون الانقلاب عليه وحاولوا قتله مرارا ، اراد ان يلقي الحجة ، فلما قال اكتب لكم كتابا لن تضلوا من بعدي ابدا عرفوا انه يريد ان يكتب كتابا في الخلافة ويكتب حديث الثقلين كتابة لذلك ثارت ثائرتهم فاتهموه بالهجر والهذيان ولغطوا وارتفعت اصواتهم حتى غضب النبي صلى الله عليه وآله وسلم وطردهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

قال محمد حمزة قاسم : والظاهر أنّ هذا الكتاب كان يتعلق بأمر الخلافة ومن يليها بعد النبي – صلى الله عليه وسلم –، وأنه – صلى الله عليه وسلم – أراد أن يعهد فيه لمن يكون بعده خليفة للمسلمين ، الى ان يقول : ويستفاد منه ما يأتي: أولاً: مشروعية كتابة العلم، لأن ما أراده النبيُّ – صلى الله عليه وسلم – داخل في ذلك مهما كان مضمونه، سواء كان الكتاب في بيان بعض الأحكام الشرعية، **أو في بيان أسماء الخلفاء من بعده** . منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري ج١ ص ٢٠٨ .

والذي يستظهره هو ان رسول الله صلى الله عليه واله وسلم اراد ان يكتب اسماء الخلفاء بعده ، وهم انفسهم الخلفاء الاثني عشر قال ابن كثير : وَثَبَتَ فِي " الصَّحِيحَيْنِ " مِنْ رِوَايَةِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عُمَيْرٍ، عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " «يَكُونُ اثْنَا عَشَرَ خَلِيفَةً كُلُّهُمْ مِنْ قُرَيْشٍ» ". البداية والنهاية ط هجر ج ١٩ ص ٢١ .

والملاحظ ان الذين حالوا دون كتابة الكتاب هم الذين بذلوا كل جهودهم للوصول الى السلطة كما سيأتي ذكره ان شاء الله تعالى .

بعد أن رجحنا أن الذي اراد رسول الله صلى الله عليه واله كتابته هو في أمر الخلافة ، وكانت محاولة منعه من كتابة الكتاب ضمن برنامج مخطط للاستيلاء على الخلافة ولكي تتضح الصورة فهناك عدة أمور لابد من ذكرها :

اولا : نحن من قرائن عديدة نكتشف أن هناك إعداد مسبق للاستيلاء على الخلافة ومن تلك القرائن :

١. إن الذي ينظر في الاحداث بعد شهادة رسول الله صلى الله عليه واله سيقطع أن هناك تخطيط مسبق فليكن هذا على ذكر منك وتأمل الاحداث .

٢. نرجع بكم الى أمر ذكرناه سابقا ، تتذكرون في أول بحثنا قلنا أنه لما اراد النبي صلى الله عليه واله كتابة الكتاب قال عمر بن الخطاب (ان النبي يهجر حسبنا كتاب الله ، غلبه الوجع) فعمر بن الخطاب يصدق ان رسول الله مريض وأن شدة المرض قد تبلغ به الى الهذيان ! ويدرك ان رسول الله يوصي وصيته الاخيرة قبل موته فقال (حسبنا كتاب الله) فهو يدرك ان رسول الله صلى الله عليه واله في لحظاته الاخيرة وانه سيموت ، فقد نعى النبي إليهم

نفسه في ذلك المرض ، وأوصى بما أمر الله ، وعرفهم أنه يموت فيه وكرر الاشارة الى ذلك . ومن عرف كتب الاسلام تحقق ان النبي كشف أنه يموت في ذلك المرض كشفا واضحا ، ولكن الغريب أنه لما مات رسول الله فعلا تحول تصديق عمر بن الخطاب بموته الى انكار موته وتهديد من قال انه مات ففي صحيح البخاري (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مات وأبو بكر بالسنح قال إسماعيل يعني بالعالية فقام عمر يقول والله ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت [عائشة] وقال عمر والله ما كان يقع في نفسي إلا ذاك وليبعثنه الله فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم)! ، ألا تتسائل عن التحول العجيب في قناعة عمر بن الخطاب ؟! ، والذي نعتقده أن عمر بن الخطاب قام بتأجيل خبر وفاة النبي صلى الله عليه واله وسلم عمدا ، لأنه لو صدق الناس وفاته سيعلن الخليفة من بعده وينصب ، والنبي صلى الله عليه واله خطط لذلك لأنه أخرج كل من في المدينة مع جيش اسامة لتخلوا المدينة لخليفته الذي اراد ، ولكن هناك من الصحابة من عصاه وبقي ، فهذا النص في البخاري يخبرنا ان ابا بكر غير موجود ساعة وفاة رسول الله !! وهذا غريب كيف يترك مثل ابي بكر رسول الله في هكذا لحظة ؟! وما هو الشيء المهم الذي جعله يتغيّب ؟! كما سيأتيكم هناك تخطيط مسبق مع عشيرة أسلم !! وستأتي دلائل ذلك ، ولذلك لما توفي رسول الله وابو بكر غائب اضطر عمر بن الخطاب تأجيل خبر وفاة رسول الله ريثما يعود ابو بكر فلاحظوا المسرحية (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مات وأبو بكر بالسنح قال إسماعيل يعني بالعالية فقام عمر يقول والله ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت وقال عمر والله ما كان يقع في نفسي إلا ذاك وليبعثنه الله فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم فجاء أبو بكر فكشف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبله قال بأبي أنت وأمي طبت حيا وميتا والله الذي نفسي بيده لا يذيقك الله الموتتين أبدا ثم خرج فقال أيها الحالف على رسلك فلما تكلم أبو بكر جلس عمر) هنا عمر بن الخطاب صدق ان رسول الله مات!! هكذا بكل سهولة ! ، اقنعه ابو بكر بتذكيره بايات القران وكأن عمر نسي ايات الكتاب ، فالعجب ان لا يصدق عمر لسان الحال ويصدق لسان القال ! فهو يشاهد رسول الله امامه ميت فلا يصدق حتى يصل ابو بكر ، والكلام طويل في هذه النقطة لكن اردت الاشارة فقط .

فعمر بن الخطاب كان يصدق ان رسول الله صلى الله عليه واله سيموت ومن ثم يكذب ذلك ثم يرجع صدقه ، لا نريد منك ان توافقنا في قناعتنا هذه ولكن مجرد احتمال ، وبما سيأتي سيكون عندك يقين لا يقبل الشك .

٣. ومن القرائن ما قد رواه الحاكم بِإِسْنَادِهِ إِلَى يُونُسَ بْنِ أَبِي يَعْفُورٍ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ :حَدَّثَنِي حَيَّانُ الأَسَدِيُّ قَالَ :سَمِعْتُ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ يَقُولُ :قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه واله وسلم): عَهْدٌ مَعْهُودٌ أَنَّ الأُمَّةَ سَتَغْدُرُ بِكَ بَعْدِي. صححه الحاكم ووافقه الذهبي .

وباسناد حسن عن الامام علي عليه السلام انه قال : وَاللهِ إِنَّهُ لَعَهْدُ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ :سَيَغْدِرُونَكَ مِنْ بَعْدِي . (المَطَالِبُ العَالِيَةِ بِزَوَائِدِ المَسَانِدِ الثَّمَانِيَةِ)، رَقْمُ الحَدِيثِ (٣٩١٩).

فهناك تبييت للنية بالغدر والانقلاب ((وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ ۚ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا ۗ وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ)) .

٤. هناك حوار دار بين عمر بن الخطاب وابن عباس جاء فيه فقال [عمر بن الخطاب] : يا بن عباس، أتدري ما منع الناس منكم؟ [يقصد ععن جعل الخلافة فيكم] قال لا يا أمير المؤمنين ، قال [عمر] لكني أدرى قال ما هو يا أمير المؤمنين؟ قال [عمر] : كرهت قريش أن تجتمع لكم النبوة والخلافة فيجخفوا جخفا فنظرت قريش لنفسها فاختارت ووفقت فأصابت ! .

فقال ابن عباس : أيميط أمير المؤمنين عنى غضبه فيسمع! قال : قل ما تشاء قال أما قول أمير المؤمنين : إن قريشا كرهت ، فإن الله تعالى قال لقوم ﴿ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم﴾ الى ان يقول : وأما قولك: فإن قريشا اختارت فإن الله تعالى يقول: {وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة} . وقد علمت يا أمير المؤمنين أن الله اختار من خلقه لذلك من اختار، فلو نظرت قريش من حيث نظر الله لها لوفقت وأصابت ..شرح نهج البلاغة – ابن أبي الحديد المعتزلي – ج ١٢ – الصفحة ٥٣.

وهذا الكلام موجود في تاريخ الطبري ج٥ ص ٢٨٩ ، ولأن لفظه يختلف وفيه فوائد اردت نقله لكم : فقال [عمر] يابن عباس أتدري ما منع قومكم منهم بعد محمد فكرهت أن أجيبه فقلت إن لم أكن أدري فأمير المؤمنين يدريني فقال عمر كرهوا أن يجمعوا لكم النبوة والخلافة فتبجحوا على قومكم بجحا بجحا فاختارت قريش لأنفسها فاصابت ووفقت فقلت يا أمير المؤمنين إن تأذن لي في الكلام وتمط عني الغضب تكلمت فقال تكلم يابن عباس فقلت أما قولك يا أمير المؤمنين اختارت قريش لأنفسها فأصابت ووفقت فلو أن قريشا اختارت لأنفسها حيث اختار الله عز و جل لها لكان الصواب بيدها غير مردود ولا محسود وأما قولك إنهم كرهوا أن تكون لنا النبوة والخلافة فإن الله عز و جل وصف قوما بالكراهية فقال ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم فقال عمر هيهات والله يابن عباس قد كانت تبلغني عنك أشياء كنت أكره أن أفرك عنها فتزيل مترلتك مني فقلت وما هي يا أمير المؤمنين فإن كانت حقا فما ينبغي أن تزيل مترلتي منك وإن كانت باطلا فمثلي أماط الباطل عن نفسه فقال عمر بلغني أنك تقول إنما صرفوها عنا حسدا وظلما فقلت أما قولك يا أمير المؤمنين ظلما فقد تبين للجاهل والحليم وأما قولك حسدا فإن إبليس حسد آدم فنحن ولده المحسودون فقال عمر هيهات أبت والله قلوبكم يا بني هاشم إلا حسدا ما يحول وضغنا وغشا ما يزول فقلت مهلا يا أمير المؤمنين لا تصف قلوب قوم أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا بالحسد والغش فإن قلب رسول الله صلى الله عليه و سلم من قلوب بني هاشم فقال عمر إليك عني يابن عباس فقلت أفعل فلما ذهبت لأقوم استحيا مني فقال يابن عباس مكانك فوالله إني لراع لحقك محب لما سرك فقلت يا أمير المؤمنين إن لي عليك حقا وعلى كل مسلم فمن حفظه فحظه أصاب ومن أضاعه فحظه أخطأ ثم قام فمضى . انتهى .

إذن قريش كانت قد خططت وأعدت العدة للانقلاب على مشروع النبي صلى الله عليه واله واختيار الله للامة ، وهناك قرائن اخرى تركناها خوف التطويل .

ثانيا : سرعة تنفيذ الخطة

هناك اسراع عجيب بتنفيذ الخطة بحيث النبي صلى الله عليه واله وسلم لم يغسل و لم يكفن والقوم اجتمعوا في سقيفة بني ساعدة ، وهذا ما كشقته الزهراء عليها السلام حيث خاطبتهم : لا عهد لي بقوم حضروا أسوأ محضر منكم ، تركتم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) جنازة بين أيدينا ، وقطعتم أمركم بينكم ، لم تستأمرونا ، و لم تردوا لنا حقاً؟! الإمامة والسياسة، ابن قتيبة: ١٩ ــ ٢٠، أعلام النساء، كحالة: ٤ / ١١٤ ــ ١١٥.

وكان هذا الانقلاب السريع مفاجئ لأهل المدينة لم يتوقعوه ، ولذلك يقول عمر بن الخطاب كما في صحيح البخاري أن بيعة ابي بكر كانت فلتة ، يعني فجأة وخلسة ! .

قال الازهري : وكل أَمْرٍ فُعل على غير تَمَكُّثٍ وتَلَبُّثٍ فقد افْتُلِتَ، وَالِاسْم الفلْتةُ. وَمِنْه قَول عمر فِي بَيْعَة أَبي بكر أَنَّهَا كَانَت فلتَةً ، فَوَقَى الله شَرَّها ، إِنَّمَا مَعْنَاهُ البَغْتةُ . تهذيب اللغة للازهري ج ١٤ ص ٢٠٤ .

وجاء في الابانة : ويقالُ: كانَ ذلكَ الأمْرُ فَلْتَةً، أي: مُفَاجأةً، ومنه قولُ عمر : كانتْ بَيْعَةُ أبي بكر فَلْتَةً وَقَاه اللهُ شَرَّها. أي: كانَتْ فجأة . الإبانة في اللغة العربية ج٣ ص ٦٤٨ .

قال ابن الاثير : التَّفَلُّت والإفْلَات والانْفِلَات: التَّخَلُّص مِنَ الشَّيْءِ فَجأة مِنْ غَيْر تَمُّكث. وَمِنْهُ حَدِيثُ عُمَرَ «إنَّ بَيْعةَ أَبِي بَكْرٍ كَانَتْ فَلْتَة وقَى اللهُ شَرَّها» أَرَادَ بالفَلْتَة الفَجْأة. ومِثْلُ هَذِهِ البَيْعة جَدِيرة بأَنْ تَكُونَ مُهَيِّجة للشَّر والفِتْنَة فَعَصَمَ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ وَوَقَى. والفَلْتَة :كلُّ شيءٍ فُعل مِنْ غَيْر رَوِيَّة ، وَإِنَّمَا بُودِرَ بهَا خَوْف انْتشار الأمْر. وَقِيلَ: أَرَادَ بالفَلْتَة الخَلسة . أَيْ إنَّ الْإِمَامَةَ يَوْمَ السَّقيفة مالَت إِلَى تَوَلِّيها الأنفُس ، وَلِذَلِكَ كَثر فِيهَا التَّشاجُر ، فَمَا قُلِّدَها أَبُو بَكْرٍ إلَّا انْتزاعاً مِنَ الأيْدِي واخْتلاسا . النهاية في غريب الحديث والأثر ج ٣ ص ٤٦٧ .

ثالثا : استعمال سلاح الترهيب

وهذا أهم العوامل الذي انجح هذه الخطة ، فقد استعملوا الترهيب ضد كل من عارضهم بل حتى المحايد!! .

قد تسأل كيف استطاعت هذه الفئة الصغيرة أن ترهب كل سكان المدينة ؟ بل وتجبرهم على البيعة ، بل وتعتدي على مثل سيد الخزرج سعد بن عبادة وسيد اهل البيت علي بن ابي طالب ؟!

الجواب سبق وأشرنا لذلك ، بأن ابا بكر تغيب ، وسبب تغيبه انه كان يعقد الاتفاق مع عشيرة اسلم وغيرها للسيطرة على المدينة في اللحظة المناسبة واجبار الناس على بيعة ابي بكر وموالاة اصحاب السقيفة .
وهذه بعض النصوص التي تبين لك ما حصل :

منها : ما نقله ابن ابي الحديد المعتزلي قال : قال البراء بن عازب: لم أزل لبني هاشم، محبا فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وآله خفت أن تتمالأ قريش على إخراج هذا الامر عنهم، فأخذني ما يأخذ الواله العجول، مع ما في نفسي من الحزن لوفاة رسول الله صلى الله عليه وآله، فكنت أتردد إلى بني هاشم وهم عند النبي صلى الله عليه وآله في الحجرة، وأتفقد وجوه قريش، فأني كذلك إذ فقدت أبا بكر وعمر، وإذا قائل يقول: القوم في سقيفة بني ساعدة، وإذا قائل آخر يقول:
قد بويع أبو بكر، فلم ألبث وإذا أنا بأبي بكر قد أقبل ومعه عمر وأبو عبيدة وجماعة من أصحاب السقيفة، وهم محتجزون بالأزر الصنعانية لا يمرون بأحد إلا خبطوه، وقدموه فمدوا يده فمسحوها على يد أبي بكر يبايعه، شاء ذلك أو أبى . شرح النهج لابن ابي الحديد المعتزلي ج ١ ص ٢١٩ .

وهذه الرواية تؤكد ما قلناه من أن الامر كان مخططا له ، ودخول هؤلاء الأعراب كان بصورة غير ملفتة للنظر ، بحيث لم يستغرب أحد من دخولهم ، لكن ما إن حانت ساعة الصفر حتى لبسوا لباس الحرب ، وبدؤوا حملتهم على كل من عارض ابا بكر وعمر ! .

وهؤلاء الاعراب كانوا من ضمن الذين اتفق معهم ابو بكر حينما خرج لاطراف المدينة في لحظة وفاة النبي صلى الله عليه واله وسلم ولك ان تتذكر قوله تعالى ((وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ)) وقوله تعالى ((الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا)) .

ومن النصوص الخطيرة ما رواه المؤرخ المشهور وهو الطبري في تاريخه حيث قال : أن أسلم أقبلت بجماعتها حتى تضايقت بهم السكك!! ، فبايعوا أبا بكر ، فكان عمر يقول : ما هو إلا أن رأيت أسلم فأيقنت النصر ! . تاريخ الطبري ج٢ ص ٤٥٩ .
وهذا النص الخطير فيه نقاط مهمة :

١. ان الاعداد لقبيلة اسلم هائلة حتى عبر الرواي بأنها " تضايقت بهم السكك " فهل يعقل أن هؤلاء اجتمعوا كلهم في المدينة بمحض الصدفة ؟

٢. دخول هؤلاء كان قبل بيعة ابي بكر ، بدليل قول عمر : " ما هو إلا أن رأيت أسلم فأيقنت النصر " ، ولو كان بعد بيعة الناس لابي لما كان هناك أي نصر يُرتقب ، وهذا يدل على أن دخول أسلم المدينة قد تم قبل تغسيل ودفن النبي صلى الله عليه واله فهل كان توقيتهم صدفة ايضا ؟!

٣. كلمة عمر بن الخطاب " ما هو إلا أن رأيت أسلم فأيقنت النصر " تدل على أن حضورهم هو الذي رجّح كفة ابي بكر ، بل سماه عمر نصرا !! وعبارة عمر بن الخطاب تدل على الاتفاق المسبق بينهم وبين قبيلة اسلم لأنه بمجرد ان رآهم تيقن النصر و لم يعرف موقفهم بعد و لم يقولوا رأيهم في موضوع الخلافة ، لا أنه أيقن النصر بعد بيعتهم لابي بكر ، وقد نقل ابن الاثير في الكامل ما يدل على ذلك حيث قال : وجاءت اسلم فبايعت فقوي ابو بكر بهم وبايع الناس بعد . الكامل في التاريخ ج ٢ ص ٣٣١ .

ودققوا في قول عمر بن الخطاب " فأيقنت النصر " فهل كانت المدينة في أجواء حرب ؟!

وبالنسبة لقضية استعمال الترهيب لجمع البيعة لابي بكر ان شاء الله تعالى ساذكر نصوص صحيحة صريحة تدل على ذلك .
قال الباحث الشيخ حسن فرحان المالكي : أبوبكر كان يشعر بالضعف لأن كبير الخزرج أوس بن عبادة اعتزل عنه وبنو هاشم منعزلون عنه و لم يبق معه الا طلقاء قريش وبعض المهاجرين وقبيلة أسلم التي كان يظهر أن هناك تخطيط لدخولها المدينة حيث دخل ٤٠٠٠ شخص وحسموا الأمر لصالح أبي بكر.

رابعا : كيف تمكنوا من احتلال المدينة !!

قد تستغرب العنوان احتلال المدينة ! يا ساتر ، نعم بعدما سبق لك ذكره وما سيأتي تتيقن ان المدينة احتلها الاعراب وقبيلة اسلم ، وهنا قد تسأل أين كان الصحابة الاخيار والابطال الاشاوس ؟
الجواب : ألم تعلم أن كل الصحابة خرجوا مع جيش اسامة خارج المدينة المنورة ، وقد شدد عليهم رسول الله صلى الله عليه واله بالخروج مع جيش اسامة بل قال : لعن الله من تخلف عن جيش اسامة .الملل والنحل للشهرستاني، طبعة مؤسسة الحلبي، ج١، ص٢١ و المواقف للإيجي، طبعة دار الجيل، تحقيق عبد الرحمن عميرة، الطبعة الأولى ١٩٩٧، ج٣، ص٦٥٠.

فلم يبق صاحبي يطيع الله ورسوله الا وخرج مع جيش اسامة ، ولم يتخلف الا من كان يريد الغدر ، فبقيت المدينة المنورة خالية ، ولكم ان تتصوروا الواقع المرعب اذا سيطر الأعراب على مدينة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

استعمال الترهيب في تحصيل البيعة

ذكرنا سابقا أن القوم في واقعة رزية الخميس اسقطوا حجية الكتاب الذي سيكتبه رسول الله صلى الله عليه وآله في النص على الخليفة من بعده ، فاتهموه بالهذيان ولغطوا واحدثوا ضجة طردهم رسول الله صلى الله عليه وآله على إثر ذلك .

فلما توفي رسول الله صلى الله عليه واله وسلم استغلوا غياب الصحابة عن المدينة المنورة وانشغال بني هاشم في تغسيل وتكفين النبي صلى الله عليه واله وسلم لسلب الخلافة فاحتلوا المدينة المنورة بجيشهم المؤلف من الاعراب وغيرهم .

واستعملوا اسلوب الترهيب مع كل من خالفهم وسنذكر لكم نموذجين واضحين من المعارضين الذين رفضوا بيعة ابي بكر فحصل معهم ما حصل .

النموذج الاول : سيد الخزرج الصحابي سعد بن عبادة

سعد بن عبادة : رئيس الخزرج ، وكان صاحب راية الأنصار يوم بدر وأمير المؤمنين عليه‌السلام صاحب لواء رسول الله « صلى الله عليه وآله » والمهاجرين .

ففي سقيفة بني ساعدة تعاملوا مع سعد بن عبادة بطريقة شديدة ، وقد نقل لنا البخاري بعض هذه الحادثة ، حيث قال على لسان عمر بن الخطاب انه قال : ونزونا على سعد بن عبادة ، فقال قائل منهم : قتلتم سعد بن عبادة . فقلت : قتل الله سعد بن عبادة . صحيح البخاري ج٨ ص ٢٢ .

وفي مسند احمد : قال : نزونا على سعد بن عبادة ، فقال قائل منهم ، قتلتم سعدا ، فقلت : قتل الله سعدا . مسند احمد ج ١ ص ١٥٦ .

فهذا تهديد صريح وأمر مباشر من عمر بن الخطاب بقتل سعد بن عبادة الذي اعتبروه معارضا لهم وحجر عثرة امام مشروعهم ، ومن هنا اعتبر شراح الحديث أن هذا الخبر من مشكلات الاخبار التي تحتاج الى تأويل ، فتفننوا في صرفه عن ظاهره والتلاعب بمتنه :

فقد قال ابن الجوزي في المشكل من حديث الصحيحين : وقوله : " قتل الله سعدا " إنما قال هذا لأن سعدا أراد الولاية ، وما كان يصلح أن يتقدم ابا بكر . وقال الخطابي : معنى قوله : " قتل الله سعدا " أي احسبوه في عداد من مات وهلك ، اي لا تعتدوا بحضوره ، لأنه اراد ان يكون اميرا فخالف . كشف المشكل من حديث الصحيحين ج١ ص ٧١ .

وذكر العيني في شرحه على البخاري : لا وجه قط للرد المذكور ؛ لأنه ليس المراد من قول عمر : " اقتلوه " حقيقة القتل ، بل المراد منه ايضا الإعراض عنه وخذلانه ، كما في الأول . ومعنى قول عمر : " قتله الله " : دعاء عليه ؛لعدم نصرته للحق ومخالفته للجماعة ؛ لأنه تخلف عن البيعة ، وخرج من المدينة ، ولم ينصرف اليها ، الى ان مات بالشام كما ذكرناه عن قريب .عمد القاري ج ١٦ ص ١٨٦ .

وذكر غيره وجوها كثيرة لتأويل هذه الفقرة من الحديث طوينا عنها كشحا ، علما أن ما أورده البخاري في صحيحه هو القصة المهذبة للحادثة وإلا فإن الطبري في تاريخه قد نقل تفاصيل دقيقة تبين لنا عظم ما حصل في السقيفة ! .

فقد نقل بسنده عن عبد الله بن عبد الرحمن أنه قال : فأقبل الناس من كل جانب يبايعون أبا بكر ، وكادوا يطؤون سعد بن عبادة ، فقال ناس من اصحاب سعد : اتقوا سعدا ، لا تطؤوه . فقال عمر : اقتلوه! ، قتله الله . ثم قام على رأسه فقال : لقد هممت أن أطأك حتى تندر عضوك ! . فأخذ سعد بلحية عمر ، فقال : والله لو حصصت منه شعرة ما رجعت وفي فيك واضحة .تاريخ الطبري ج٢ص ٤٥٩ .

بل نقل الطبري اعظم من هذا ، حيث نص على حصول اشتباك مسلح في السقيفة ، حيث ذكر قول الراوي : وقال قائل حين أوطئ سعد : قتلتم سعدا ، فقال عمر : قتله الله ، إنه منافق . واعترض عمر بالسيف صخرة فقطعه . تاريخ الطبري ج٢ ص ٤٥٩ .

ومن غرائب الاحداث أن سعدا وجد مقتولا في اوائل حكومة عمر بن الخطاب ، ولم يعرف من قتله ، فاتهموا به الجن!! ، فمنهم من ذكر أنه قتل بسهم من سهامهم ! الاستيعاب ج٢ ص ٥٩٩ ، العيني ج٢١ ص ٢٦٦ .

والغريب ان في السقيفة عمر يقول قتله الله ، وفي حكومة عمر قيل قتلته الجن ! ، فتجد في الحادثتين ينسبون قتله لغير قاتله .

ومن اللطيف أن ابا حنيفة قال لمؤمن الطاق : لِمَ لم يطالب علي بن أبي طالب بحقه بعد وفاة رسول الله إن كان له حق ؟

فأجابه مؤمن الطاق : خاف أن يقتله الجن ـــ كما قتلوا سعد بن عبادة . الإحتجاج ج ١ ص ٣٨١ .

وقال ابن أبي الحديد المعتزلي في شرح النهج متحدثا عن سعد بن عبادة :
وخرج إلى حوران فمات بها ، قيل قتله الجن لانه بال قائما في الصحرأ ليلاً ، ورووا بيتين من شعر قيل : إنهما سُمعا ليلة قتله و لم يُرَ قائلهما :

نحن قتلنـــا سيد الخز * رج سعد بن عباده
ورمينـــاه بسهميـــن * فلم نخطـــئ فؤاده

ويقول قوم : إنَّ أمير الشام يومئذ كَمّن له من رماه ليلاً ، وهو خارج إلى الصحرأ بسهمين فقتله لخروجه عن طاعة الامام

وقد قال بعض المتأخرين في ذلك :

يقولون : سعد شَكّتْ الجنُ قلبـَه * ألا ربّما صححت دينك بالغـــــدر

وما ذنب سعد أنه بال قائمـــــا * ولكنَّ سعـــدا لم يبايـــع أبابـــــكر

صبرت من لـــــذة العيش أنفسٌ * وما صبرت عن لذة النهي والامر . شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي ج١٠ ص ١١١ .

والحاصل أن منهج اصحاب السقيفة كان قمع كل من عارضهم و لم يقبل بمشروعهم وخلافتهم ، وقد اعلن عمر بن الخطاب ذلك صريحا بقوله : لا والله ، لا يخالفنا أحد إلا قتلناه ! . فتح الباري ج ٧ ص ٢٤ .

وبعد تخلف مثل سعد بن عبادة سيد الخزرج كيف يقال أن الامة اجمعت على خلافة ابي بكر ، وكيف يقال أن كل الصحابة عدول وسعد لم يبايع ابا بكر ومات من دون بيعة وهم يروون في صحاحهم من مات من دون بيعة مات ميتة جاهلية ؟!

النموذج الثاني : علي بن ابي طالب عليه السلام وبنو هاشم

من الذين رفضوا البيعة وامتنعوا عن التسليم بخلافة أبي بكر بن أبي وسائر بني هاشم ، وقد تسالم على ذلك أصحاب الحديث والتواريخ والسير وأثبتوه في مصنفاتهم :

فقد ذكر البخاري بسنده عن عائشة أنّا قالت: فوجدت[اي غضبت] فاطمة على أبي بكر في ذلك، فهجرته، فلم تك ل مه حتى تو ف يت، وعاشت بعد النبي صلى الله عليه وسلم ستة أشهر، فلما تو فيت دفنها زوجها علي ليلا ، و لم يؤذن بها أبا بكر ، وصلى عليها ، وكان لعلي من الناس وجه حياةَ فاطمة ، فلما تو فيت استنكر علي وجوه الناس ، فالتمس مصالحة أبي بكر ومبايعته ، و لم يكن يبايع تلك الأشهر(صحيح البخاري ٥ / ٨٣ .) .
ونقل البيهقي نفس الحديث بإضافة زيادة مهمة جدا، وهي قوله :
قال معمر: قلت للزهري : كم مكثت فاطمة بعد النبي صلى الله عليه وسلم حتى ماتت ؟ قال : ستة تشهر فقال رجل للزهري : فلم يبايعه علَي؟ قال : ولَا أحد من بني هاشم (السنن الكبرى ٦ / ٣٠٠) .

وقد جزم ابن الأثير بصحة تخلف بني هاشم عن بيعة أبي بكر، فقال :وتخلّف عن بيعته : علَي وبنو هاشم، والزبير بن العوام، وخالد بن سعيد بن العاص ، وسعد بن عبادة الأنصاري. ثم إ ن الجميع بايعوا بعد موت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا سعد بن عبادة، فإنه لم يبايع أحدا إلى أن مات ، وكانت بيعتهم بعد ستة أشهر على القول الصحيح(أسد الغابة ٣ / ٢٢٣) .

وكذلك أبو الفداء في تاريخه، حيث قال: فبايع عمر أبا بكر، وانثال الناس عليه يبايعونه في العشر الأوسط من ربيع الأول سنة إحدى عشرة، خلا جماعة من بني هاشم، والزبير، وعتبة بن أبي لهب، وخالد بن سعيد بن العاص، والمقداد بن عمرو، وسلمان الفارسي، وأبي ذر، وعمار بن ياسر، والبراء بن عازب، وأ بي بن كعب، ومالوا مع علَي بن أبي طالب(تاريخ أبي الفداء ١ / ١٥) .

فلما تخلف علي بن ابي طالب وشيعته واهل بيته عن بيعة بكر ماذا فعلت السلطة ؟ اليكم النصوص التي تبين ذلك :

الرواية الأولى :

ما رواه ابن أبي شيبة في مصنفه، قال: حدثنا محمد بن بشر، حدثنا عبيد الله بن عمر، حدثنا زيد بن أسلم، عن أبيه أسلم: أنه حين بويع لأبي بكر بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم كان علي والزبير يدخلان على فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيشاورونّا، ويرتجعون في أمرهم ، فلما بلغ ذلك عمر بن الخطاب خرج حتى دخل على فاطمة ، فقال : يا بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم! والله ما من أحد أحب إلينا من أبيك ، وما من أحد أحب إلينا بعد أبيك منك ، وأيم الله ما ذاك بمانعي إن اجتمع هؤلاء النفر عندك ، أن أمرتهم أن يحرق عليهم البيت!!. قال : فل ما خرج عمر جاؤوها ، فقالت : تعلمون أ ن عمر قد جاءني ، وقد حلف بالله لئن عدتم ليحرقن عليكم البيت ، وأيم الله ليمضين لما حلف عليه ، فانصرفوا راشدين ، فروا رأيكم ، ولا ترجعوا إلي . فانصرفوا عنها ، فلم يرجعوا إليها حتى بايعوا لأبي بكر (المصنف ٨ / ٥٧٢) .

وهذا سند صحيح بحسب الصناعة الحديثية عند أهل السنة والجماعة ، وكل رواته من الثقات ، بل من رجال الصحيحين الذين احتج بهم البخاري ومسلم، وكما يقولون : جازوا القنطرة!!

وقد علق الحاكم النيسابوري على هذا السند في مستدركه على الصحيحين بقوله: هذا حديث صحيح الإسناد على شرط الشيخين، و لم يخرجاه(المستدرك ٣ / ١٥٥) .

وصحح الخطيب التبريزي هذا الحديث بقوله: وله شاهد صحيح من حديث زيد بن أسلم عند ابن أبي شيبة وابن جرير والطبري ، يأتي في ترجمة زيد بن أسلم إن شاء الله تعالى(الإكمال ٤ .) .

وصحح هذا الحديث الشاه ولي الله الدهلوي(بقوله : عن أسلم بسند صحيح على شرط الشيخين أ نه حين بويع... (إزالة الخفاء ٤ / ١١٨)

وقد علق محقق كتاب فضائل الصحابة على هذا الحديث بقوله : رجال الإسناد ثقات، غير محمد بن إبراهيم، فقد سكت عنه أبو نعيم والخطيب (فضائل الصحابة ١ / ٣٣٤) .

علما أ ن الراوي الذي استثناه ليس مذكور ا في سند رواية ابن أبي شيبة التي احتججنا بها ! .

والطريف ما استفاده ابن أبي عاصم من هذا الخبر حيث قال: وفي حديث عمر بن الخطاب ما يد ل على أ ن الإمام إذا بلغه أ ن قوم ا يجتمعون على أمر يخاف أن يحدث عن اجتماعهم ما يكون فيه فساد: أن يتقدم إليهم ويوعدهم في ذلك وعيدا يرهبون به...(المذ كر والتذكير والذكر: ٩٧ ، علما أن محقق الكتاب قد صحح الرواية في هامش صفحة ٩١) .

اشكالات على السند :

هناك اشكال لا يستحق الوقوف عنده وهو ان الراوي زيد بن اسلم لم يدرك عمر بن الخطاب و لم يدرك الحادثة فالحديث منقطع ولكن المستشكل يعاني من مشكلة في البصر اذ السند واضح ان الراوي هو اسلم وزيد انما يرويه عن ابيه ، فمن الواضح أن الراوي عن عمر الذي نتكلم فيه هو أسلم العدوي ، لا ابنه زيد بن أسلم .

والاشكال الذي نقف عنده لرفع الالتباس هو ان البعض شكك في اتصال الرواية وذلك لأن اسلم العدوي قد جاء المدينة بعد هذه الواقعة ، و لم يصرح في الرواية بسماعه الخبر من عمر بن الخطاب ، ولذلك هذا البعض اعتبرها من المراسيل .

الجواب :

اولا : ان مستند قولهم : " ان اسلم لم يكن في المدينة في تلك الفترة " هو ما ذكروه في ترجمته من رواية ابن اسحاق ، قال : " بعث ابو بكر عمر سنة إحدى عشر ، فأقام للناس الحج ، وابتاع فيها اسلم مولاه " تهذيب التهذيب ج١ ص ٢٣٣ . والحال أن هذه الرواية ايضا مرسلة ، لأن ابن اسحاق لم يدرك الحادثة ، ولا نعلم من أنبأه بها من الرواة ، فلا يمكن أن تكون مطعنا في الرواية الصحيحة المتقدمة .

ولو سلمنا بصحة ما قاله ابن اسحاق فلا دلة في كلامه على أن عمر اشترى اسلم من مكة ، او ان اسلم لم يدرك رسول الله صلى الله عليه واله ، بل اقصى ما تدل هو ان عمر اشترى اسلم في السنة الحادية عشرة ، ولعله اشتراه من المدينة وكان حينئذٍ مسلما .

ولهذا عد بعضهم اسلم من الصحابة ، فقد قال ابو نعيم في كتابه معرفة الصحابة : من حديث عبد المنعم بن بشير ، عن عبد الرحمن بن زيد بن اسلم ، عن ابيه عن جده : أنه سافر مع النبي صلى الله عليه واله سفرتين . اكمال تهذيب الكمال ج٢ ص ١٣٤ .

ونقل الحافظ ابن حجر العسقلاني نفس النص عن ابن مندة . الاصابة ج١ ص ٢١٦ .

وحتى على فرض صحة هذه المطالب ان عمر اشتراه بعد وفاة رسول الله فى مكة ، لم يدل على انه لم يسافر مع مولاه قبل شراية عمر فى معية رسول الله أو لم يكن فى المدينة .

بناء على هذا وجه الجمع فى هذين الرأيين ان اسلم مع مولاه السابق سافر مع رسول الله مرتين، بعد وفاة رسول الله مع مولاه لأداء فرائض الحج ذهب الى مكة و اشتراه عمر فى مكة .

ثانيا : أن أسلم العدوي هو من الثقات عندهم باتفاق أئمة الفن ، وقد عُرف بملازمته لعمر بن الخطاب ، ومعرفة أحواله وأقواله ، فمثل هذه الرواية تحمل على السماع كما ذكر ذلك الحافظ ابن حجر في مورد آخر في مقام الدفاع عن رواية في صحيح البخاري ابتليت بنفس العلة المزعومة المتقدمة : قال الدارقطني : أخرج البخاري عن القعنبي وعبد الله بن يوسف وغيرهما عن مالك عن زيد بن أسلم عن أبيه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يسير

وعمر معه ، الحديث في نزول سورة الفتح مرسلا ، وقد وصله قراد وغيره عن مالك . (قلت☺ بل ظاهر رواية البخاري الوصل ، فإن أوله وإن كان صورته صورة المرسل ، فإن بعده ما يصرح بأ ن الحديث لأسلم عن عمر ، ففيه بعد قوله : فسأله عمر عن شيء فلم يجبه ، فقال عمر: نزرت رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات كل ذلك لا يجيبك ، قال عمر : فحركت بعيري ، ثم تقد مت أمام الناس ، وخشيت أن ينـــزل فيَّ قرآن . وساق الحديث على هذه الصورة حاكيا لمعظم القصة عن عمر ، فكيف يكون مرسلا ؟ هذا من العجب ، والله أعلم (مقدمة الفتح :٣٧٢) .

والكلام هو الكلام في روايتنا المتقدمة ، فإن ظاهرها الوصل ، حيث أنه يطمأن بأن أسلم حدث بهذه الرواية بعد أن سمعها من سيده عمر لو سلمنا جدلا بأنه لم يكن موجودا في المدينة .

فإن أبوا هذا فيلزم تضعيف رواية صحيح البخاري التي فيها الإشكال أكثر إيغالا ؛ لأ ن فيها حادثة حصلت في زمن رسول الله صلى الله عليه واله وظاهر كلام أسلم أنه كان موجودا مع عمر ، في حين أن روايتنا لا يشترط فيها حضوره بل يكفي سماعه التفاصيل من عمر .

ثالثا : على فرض انه لم يكن صحابي ؛ لكن من القطع انه تابعي و مرسلات التابعي عند اهل السنة حجة .

ملا علي القاري فی رد هذه الكلمات ان المرسل من الشخص الذی شك فی انه صحابي ، لم يقبل فيقول :

قلت : مرسل التابعي حجة عند الجمهور ، فكيف مرسل من اختلف في صحة صحبته! . مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ج ٩، ص ٤٣٤، تحقيق: جمال عيتاني، ناشر: دار الكتب العلمية - لبنان/ بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـــ - ٢٠٠١م .

فكثير من علماء اهل السنة يعتقدون ان مراسيل التابعي حجة و حتى مرسلاتهم اقوى من مسانيدهم ؛ لاسيما ان كان مثل اسلم الذي هو كما يقول الذهبي الفقيه الإمام ويقول يعقوب بن شيبة السدوسي : ثقة ، وهو من جلة موالي عمر ، وكان يقدمه ، وقال العجلي : مدني ثقة من كبار التابعين .

وابن حجر العسقلاني يقول فی التابعي (الاشخاص الذين لم يروا النبی و ما نقلوه هو ما سمعوه من الاصحاب) الذی ينقل اشياء من دون ان ينسبها الی اشخاص معينة ، هكذا : وأما الأمور التي يدركها (اي التابعي) فيحمل على أنه سمعها أو حضرها لكن بشرط أن يكون سالما من التدليس والله أعلم . فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج ٨، ص ٧١٦، تحقيق: محب الدين الخطيب، ناشر: دار المعرفة - بيروت.

وشمس الدين السخاوي فی فتح المغيث يقول : صرح الحاكم في علومه بأن مشايخ الحديث لم يختلفوا أنه هو الذي يرويه المحدث بأسانيد متصلة إلى التابعي ثم يقول التابعي قال رسول الله ووافقه غيره علي حكاية الاتفاق (واحتج)

الإمام مالك هو ابن أنس في المشهور عنه (وكذا) الإمام أبو حنيفة (النعمان) بن ثابت وتابعوهما المقلدون لهما والمراد الجمهور من الطائفتين بل وجماعة من المحدثين والإمام أحمد في رواية حكاها النووي وابن القيم وابن كثير وغيرهم به أي بالمرسل ودانوا بمضمونه أي جعل كل واحد منهم ما هو عنده مرسل دينا يدين به في الأحكام وغيرها وحكاه النووي في شرح المهذب عن كثيرين من الفقهاء أو أكثرهم قال ونقله الغزالي عن الجماهير

وقال أبو داود في رسالته وأما المراسيل فقد كان أكثر العلماء يحتجون بها فيما مضي مثل سفيان الثوري ومالك والأوزاعي حتي جاء الشافعي رحمه الله فتكلم في ذلك وتابعه عليه أحمد وغيره انتهي. فتح المغيث شرح ألفية الحديث، ج ١، ص ١٣٩، ناشر: دار الكتب العلمية – لبنان، الطبعة: الأولي، ١٤٠٣هـ.

سراج الدين الانصاري يقول : ونقل الآمدي قبوله (مرسل التابعي) عن أحمد أيضا واختاره . وبالغ بعضهم فجعله أقوى من المسند لأنه إذا أسنده فقد وكل أمره إلى الناظر و لم يلتزم صحته .

وذهب ابن الحاجب إلي قبوله من أئمة النقل دون غيرهم وذهب عيسى بن أبان إلي قبول مراسيلهم ومراسيل تابعي التابعين وأئمة النقل مطلقا . المقنع في علوم الحديث، ج ١، ص ١٣٩ – ١٤٠، تحقيق: عبد الله بن يوسف الجديع، ناشر: دار فواز للنشر – السعودية، الطبعة: الأولي، ١٤١٣هـ .

وجمال الدين القاسمي نقلا عن القرافي يقول : قال القرافي في شرح التنقيح: «حجة الجواز أن سكوته عنه مع عدالة الساكت، وعلمه أن روايته يترتب عليها شرع عام، فيقتضي ذلك أنه ما سكت عنه إلا وقد جزم بعدالته؛ فسكوته كإخباره بعدالته، وهو لو زكاه عندنا، قبلنا تزكيته، وقبلنا روايته؛ فكذلك سكوته عنه، حتي قال بعضهم: إن المرسل أقوي من المسند بهذا الطريق، لأن المرسل قد تذمم الراوي وأخذه في ذمته عند الله تعالي وذلك يقتضي وثوقه بعدالته؛ وأما إذا أسند فقد فوض أخره للسامع، ينظر فيه، و لم يتذممه؛ فهذه الحالة أضعف من الإرسال» انتهى . قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث، ج ١، ص ١٣٤، ناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولي، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

ثم حتى لو فرضنا ان السند هنا مقطوع ، فعند ذلك لم يضر بصحة الاستدلال بهذه الرواية ؛ لأن اعتراف شخص من كبار اهل السنة فى القرن الاول من الهجرة ؛ مثل اسلم العدوي الثقة الإمام الفقيه المبجل المقدم لدى عمر بن الخطاب بهكذا مطلب ، يكفى فى اثباته ؛ و لو انه لم يشاهد القضية ؛ لأنه لم يمكن ان يكذب او ينقل الرواية ممن هو كذاب ؛ فاليوم اهل السنة والجماعة يتحرجون من نقل هكذا اخبار وينهون عن روايته لكن يرويه اسلم ولا يتردد ويرويه عنه كبار الحفاظ هذا وحده دليل .

رابعا : وهو الجواب الذي يقضي على الاشكال من اساسه ويكشف بشكل قطعي ان اسلم انما يروي ذلك عن عمر بن الخطاب نفسه هو ان الحاكم روى هذا الخبر مختصرا بسند صحيح فقد روى الحاكم في المسدرك (١٥٥/٣) ، قال : " حدثنا مكرم بن أحمد القاضي : حدثنا أحمد بن يوسف الهمداني : حدثنا عبد المؤمن ابن علي الزعفراني: حدثنا عبد السلام بن حرب عن عبيد الله بن عمر **عن زيد بن أسلم عن أبيه عن عمر** رضي الله عنه، أنه دخل على فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: يا فاطمة والله ما رأيت أحدا أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم منك، والله ما كان أحد من الناس بعد أبيك صلى الله عليه وسلم أحب إلي منك ". وقال الحاكم: " صحيح الإسناد على شرط الشيخين ". وقال الذهبي : " قلت: غريب عجيب ".

قال الالباني : فأقول : أما أنه على شرط الشيخين ، فوهم لا شك فيه ، لأن من دون عبد السلام بن حرب لم يخرجا لهم ، وعبد السلام بن حرب ليس من شيوخهما .

وأما أنه صحيح ، ففيه نظر ، والعلة عندي تتردد بين عبد السلام ، وعبد المؤمن فالأول، وإن كان من رجال الشيخين ، فقد اختلفوا فيه ، ووثقه الأكثرون ، وقال الحافظ : " ثقة حافظ، له مناكير ".

وأما عبد المؤمن ، فلم أر من وثقه توثيقا صريحا ، وغاية ما ذكر فيه ابن أبي حاتم (٦٦/١/٣) أن الإمام مسلما قال : " سألت أبا كريب عن عبد المؤمن بن علي الرازي فأثنى عليه ، وقال : لولا عبد المؤمن من أين كان يسمع أبو غسان النهدي من عبد السلام بن حرب ؟ ". والله أعلم . سلسلة الأحاديث الضعيفة ج٣ ص ٢٥٦ .

أقول : اما استغراب الذهبي فلم يذكر العلة ، وقد قالوا أنه ناظر إلى متن الحديث فيصعب على مثل الذهبي ان تكون فاطمة احب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، اما الالباني فترى أنه يرى الحديث كل رواته ثقات ولكنه يتوقف في عبد المؤمن .

ولكن تضعيف الألباني لعبد المؤمن بن علي الزعفراني وهي علة باطلة : قال الألباني : (لم أر من وثقه توثيقا صريحا)!!

قال السقاف : قال السقاف ردا على الالباني : تختله على الحديث ص (٢٥٣ - ٢٥٤) حديث سيدنا عمر رضي الله عنه: (أنه دخل على فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: يا فاطمة والله ما رأيت أحدا أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله منك، والله ما كان أحد من الناس بعد أبيك صلى الله عليه وآله أحب إلي منك) وضعفه بعلتين :

الأولى: أنه ضعف عبد السلام بن حرب وهو من رجال البخاري ومسلم. بقول الحافظ فيه في (التقريب): (ثقة حافظ له مناكير)!!

والثانية: عبد المؤمن بن علي الزعفراني فقال: (لم أر من وثقه توثيقا صريحا).

وإليك الجواب عن هاتين العلتين اللتين زعمهما الألباني تمويها :

الأول : من عجيب تناقض الألباني أنه قال عن عبد السلام بن حرب في نفس المجلد من (ضعيفته) (٣ / ١٢٩) عندما لم يعارض رأيه وهواه : (ثقة حجة) و لم يقل إن له مناكيرا!! (٥٣٨) وقد بين الحافظ في (التهذيب) (٦ / ٢٨٣) أن ما ينكر عليه هو ما (٥٣٩) قال عبد الله بن أحمد عن أبيه:

(كنا ننكر من عبد السلام شيئا كان لا يقول حديثا إلا في حديث واحد أو حديثين) وهذا معنى قول ابن سعد فيه: (وكان عسرا).

فالنكارة تتعلق من هذه الجهة لا غير ولذلك لم يسق له الذهبي في (الميزان) (٢ / ٦١٤) ولا حديثا واحدا أنكر عليه، وكذلك ابن عدي في (الكامل) (٥ / ١٩٦٨).

فالألباني وقع في تقليد خطأ الحافظ في (التقريب) ومن المعلوم لأهل هذا (٥٤٠) الفن أن عبارات التقريب غير دقيقة وفيها خطأ، وهذا أمر مشهور فلا يجوز التعويل عليها إلا بعد التأكد من دقتها، والألباني يعرف هذا ويخالف كلام التقريب متى عارض مزاجه وهواه، فالله تعالى يصلحه!!

الجواب على العلة الثانية وهي :

تضعيف الألباني لعبد المؤمن بن علي الزعفراني وهي علة باطلة:

قال الألباني: (لم أر من وثقه توثيقا صريحا)!!

قلت: لو نظرت في ثقات ابن حبان (٨ / ٤١٧) لوجدته ولعرفت أن ابن حبان وثقه، فخذ هذه الفائدة فربما لا تجدها في كتاب آخر!! وكم (٥٤١) ترك الأول للاخر!!

واعلموا أن ابن أبي حاتم قال في (الجرح والتعديل) (٦ إ ٦٦):

(روى عنه أبي وعلي بن الحسين بن الجنيد، والفضل بن العباس المعروف بالصائغ) ثم قال ابن أبي حاتم:

(أخبرنا عبد الرحمن أخبرنا مسلم بن الحجاج النيسابوري قال سألت أبا كريب عن عبد المؤمن بن علي الرازي فأثنى عليه). (٥٤٢) قلت: رواية ثلاثة عنه منهم أبو حاتم الرازي مع ثناء أبي كريب عليه وتوثيق ابن حبان كاف بلا شك أن يجعل حديثه حسنا في أقل الأحوال، وكم حسن وصحح الألباني لمن كان دون هذا بكثير!! لكن التعصب يعمي ويصم!!

وبه يبطل إعلال الألباني لحديث سيدنا عمر رضي الله عنه حسب لقواعد العلمية البعيدة عن التعصب والتقليد والحمد لله رب العالمين. تناقضات الألباني الواضحات – حسن بن علي السقاف – ج ٢ – الصفحة ٢٥٤ و٢٥٥ و٢٥٦ .

فهذا الخبر المعتبر يدل على ان اسلم انما نقل الخبر عن عمر بن الخطاب نفسه فيسقط هذا الاشكال من اساسه .

وبعد صحة هذا الخبر حاولوا في كتب اخرى تحريف الخبر !! ، فحذفوا منه عبارات التهديد مع انهم ينقلونه عن المصنف!! فراجع (الاستيعاب ٣ / ٩٨٥ ، الوافي بالوفيات ١٧ / ١٦٧ ، نّهاية الأرب ١٩ / ٤٠ فضائل الصحابة ١ / ٣٦٤ ، المستدرك ٣ / ١٥٥ ، تاريخ بغداد موسوعة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ١٤)

كل هؤلاء حرفوا هذا النص فراجع وطابق بين هذا الحديث في مصنف ابن أبي شيبة وبين نقلهم عنه وانظر هل لديهم امانة علمية ، وحتى الحاكم بتره وعمر بن الخطاب يقول ذلك لفاطمة لكن واضح ان الحديث لم يذكر مناسبة قوله لذلك وهي موجودة في المصنف .

الرواية الثانية :

ما رواه محمد بن جرير الطبري في تاريخه، قال: حدثنا ابن حميد ، قال: حدثنا جرير عن مغيرة ، عن زياد بن كليب ، قال: أتى عمر بن الخطاب مترل علي، وفيه طلحة والزبير ورجال من المهاجرين ، فقال : والله لأحرقن عليكم أو لتخرجن إلى البيعة. فخرج عليه الزبير مصلتا بالسيف، فعثر ، فسقط السيف من يده، فوثبوا عليه فأخذوه (تاريخ الأمم والملوك ٢ / ٤٤) . والسند صحيح .

الرواية الثالثة :

رواية البلاذري في أنسابه، قال: المدائني، عن مسلمة بن محارب، عن سليمان التيمي، وعن ابن عون: أ ن أبا بكر أرسل إلى علي يريد البيعة، فلم يبايع، فجاء عمر ومعه فتيلة، فتلقته فاطمة على الباب، فقالت فاطمة: يا ابن الخطاب، أتراك محرقا علي بابي؟ قال: نعم، وذلك أقوى فيما جاء به أبوك!! (أنساب الأشراف ١ / ٥٨) .

وهذه الرواية نقلت تفاصيل مهمة، فإضافة إلى ما تقدم من حصار البيت والتهديد بالإحراق، نستفيد منها جدية عمر بن الخطاب في تهديده، حيث نصت الرواية أنه كان حاملا فتيلة (وهي شعلة نار) ، وتلقته فاطمة الزهراء عليها السلام عند الباب ، لكنه كان عازما على إحراق الدار بمن علما أن الزهراء
فيها.

الرواية الرابعة :

ما نقله ابن قتيبة الدينوري في كتابه الإمامة والسياسة، حيث قال: عن ابن أبي مريم، قال: حدثنا العريان ، عن أبي عون بن عمرو بن تيم الأنصاري، وحدثنا سعيد بن كثير، عن عفير بن عبد الرحمن، قال: حدثنا بقصة استخلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بكر، وشأن السقيفة، وما جرى فيها

من القول، والتنازع بين المهاجرين والأنصار، وبعضهم يزيد على بعض في الكلام، فجمعت ذلك وألفته على معنى حديثهم:... وإ ن أبا بكر تفقد قوما تخلفوا عن بيعته عند علي كرم الله وجهه، فبعث إليهم عمر، فجاء فناداهم وهم في دار علي، فأبوا أن يخرجوا، فدعا بالحطب، وقال: والذي نفس عمر بيده، لتخرجنَّ أو لأحرقنّها على من فيها. فقيل له: يا أبا حفص، إن فيها فاطمة؟ فقال: وإن!! . فخرجوا فبايعوا إلا عليا، فإنه زعم أنه قال:
حلفت أن لا أخرج ولا أضع ثوبي على عاتقي حتى أجمع القرآن. فوقفت فاطمة على بابها، فقالت: لا عهد لي بقوم حضروا أسوأ محضر منكم، تركتم رسول الله صلى الله عليه وسلم جنازة بين أيدينا، وقطعتم أمركم بينكم، لم تستأمرونا، و لم تردوا لنا حقا!! فأتى عمر أبا بكر، فقال له: ألا تأخذ هذا المتخلف عنك بالبيعة؟ فقال أبو بكر لقنفذ وهو مولى له : اذهب، فادع لي عليا. قال: فذهب إلى علي، فقال له: ما حاجتك؟ فقال: يدعوك خليفة رسول الله. فقال علي: لسّريع ما كذبتم على رسول الله. فرجع فأبلغ الرسالة ، قال : فبكى أبو بكر طويلا ، فقال عمر الثانية: لا تمهل هذا المتخلف عنك بالبيعة، فقال أبو بكر لقنفذ: عد إليه، فقل له: خليفة رسول الله يدعوك لتبايع. فجاءه قنفد، فأدى ما أ مر به، فرفع علي صوته، فقال:سبحان الله! لقد ادعى ما ليس له. فرجع قنفذ، فأبلغ الرسالة، فبكى أبو بكر طويلا (الإمامة والسياسة ١ / ٢٠) ...
وهذه الرواية من أطول الروايات وأكثرها تفصيلا ، وقد نقلت لنا الصورة كاملة بما لا يحتاج مزيدا من البيان والتفصيل.

بالإضافة إلى الروايات المذكورة سابقا ، فإ ن هناك جملة من المؤرخين قد ذكروها في تواريخهم، مما يدل على ميلهم لوقو ع أمثال هذه الحوادث نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر كلام أبي الفداء الذي قال في تاريخه:
ثمّ إنّ أبا بكر بعث عمر بن الخطاب إلى علي ومن معه ليخرجهم من بيت فاطمة رضي اللّه عنها، وقال: إن أبوا عليك فقاتلهم، فأقبل عمر بشيء من نار على أن يضرم الدار فلقيته فاطمة رضي اللّه عنها، وقالت: إلى أين يابن الخطاب، أجئت لتحرق دارنا؟ قال: نعم، أو يدخلوا فيما دخل فيه الأُمّة (المختصر في أخبار البشر ١ / ١٥٦) .
واهمية هذا النص تكمن في الأمر الصريح الصادر من ابي بكر ليس فقط بحرق الدار، بل بمقاتلتهم في حال رفضهم البيعة، وهذا ما يجعلنا نتوقع حصول أي شيء من هؤلاء الصحابة.

الخلاصة :

أن عندنا روايات صحيحة من جهة السند ، وروايات أخرى بمثابة الشواهد لها، وعندنا بعض المؤرخين أثبتوا وقو ع هذا الأمر ، إضافة إلى ما قدمناه من بيان الوضع العام الذي كان بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم يجعلنا نتيقن بحصول هذا المقدار، وهو التهديد بحرق بيت فاطمة والمباشرة في الإحراق .

هل خرج الإمام علي للبيعة

قد يلاحظ القارئ العزيز أ ن بعض الروايات التي ذكرناها في مقام بيان التهديد بحرق بيت الزهراء قد ذكرت أ ن الإمام علي قد رضخ لتهديد القوم ، وخرج طوعا لبيعة أبي بكر .

وهذا غير صحيح ، ولا يمكن قبوله البتة ؛ لأن الروايات المعتبرة التي ذكرت هذه الحادثة ليست صريحة في بيعة أمير المؤمنين.

فمثلا رواية ابن ابي شيبة ورد فيها « فانصرفوا عنها، فلم يرجعوا إليها حتى بايعوا لأبي بكر »(المصنف ٨ / ٥٧٢) ولعل الروايات الأخرى التي ذكرت بيعة الإمام علي توهم من الرواة العموم، والحال أ ن مقتضى الجمع بين هذه الروايات والأخرى الصحيحة التي نصت أ نه لم يبايع هو عدم دخوله فـي الجمع المزبور .

وقد تقدم البحث في إثبات أ ن الإمام علي لم يبايع إلا مكرها ، حيث إنه تعرض لقمع السلطات كما تقدم لإجباره على البيعة .

مصادر اقتحام بيت الزهراء

وردت عدة روايات صحيحة أثبتت هذه الحقيقة ، وهي هتك القوم لحرمة بيت فاطمة ودخولهم فيه بلا استئذان ، بغرض إجبار المتحصنين بالبيت على بيعة أبي بكر :

الرواية الأولى:

ما رواه عبد الله بن أحمد في كتاب السنة، قال: حد ثنا محمد بن إسحاق بن محمد المخزومي المسيبي، نا محمد بن فليح بن سليمان ، عن موسى بن عقبة، عن ابن شهاب قال: وغضب رجال من المهاجرين في بيعة أبي بكر، منهم علي بن أبي طالب والزبير بن العوام، فدخلا بيت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعهما السلاح، فجاءهما عمر في عصابة من المسلمين، فيهم أسيد وسلمة بن سلامة بن وقش، وهما من بني عبد الأشهل، ويقال: فيهم ثابت بن قيس بن الشماس أخو بني الحارث بن الخزرج، فأخذ

أحدهم سيف الزبير، فضرب به الحجر حتى كسّره، قال موسى بن عقبة: قال سعد بن إبراهيم: حد ثني إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف أن عبد الرحمن كان مع عمر يومئذ، وأن محمد بن مسلمة كسّر سيف الزبير، والله أعلم(السنة: ٣٩٧) .

الرواية منقولة عن كتاب المغازي لموسى بن عقبة الذي شهد بصحته يحيى بن معين ومالك كما ذكر الذهبي في السير في ترجمة موسى بن عقبة وأقرهما ٦ / ١١٧ .

فهذا الخبر صحيح السند، وكل رجاله من الثقات الذين لا خلاف فيهم عند اهل السنة والجماعة ، ومن هنا فقد حسن الخبر محققو كتاب السنة لعبد الله بن أحمد: الدكتور محمد سعيد سالم القحطان (السنة ٢ / ٥٥٤) ، والأستاذ نبيل صلاح سليم (السنة: ٣٩٧) ، ومن القدماء جود الصالحي الشامي صاحب السيرة الخبر بقوله :
وروى ابن عقبة بإسناد جيد(سبل الهدى والرشاد ١٢ / ٣١) .
قال الشيخ السلفي محمد بن صالح المنجد : رواه موسى بن عقبة (١٤٠هـــ) عن شيخه الزهري، ومن طريقه أخرجه عبد الله بن أحمد في " السنة " (٢/٥٥٣-٥٥٤)
قلت : ورواية السير والمغازي من طريق موسى بن عقبة عن الزهري من أصح الروايات، حتى قال ابن معين: " كتاب موسى بن عقبة عن الزهري من أصح هذه الكتب ". وكان الإمام مالك يقول: " عليك بمغازي الرجل الصالح موسى بن عقبة ". وقال الإمام الشافعي: " ليس في المغازي أصح من كتاب موسى بن عقبة ". وقال الذهبي: " وأما مغازي موسى بن عقبة فهي في مجلد ليس بالكبير ، سمعناها ، وغالبها صحيح ومرسل جيد " انتهى. انظر "سير أعلام النبلاء" (٦/١١٤-١١٨) ، والزهري لم يدرك تلك الحادثة ، إلا أن روايته هذه جاءت موافقة لما سبق من روايات صحيحة ، والله أعلم . انتهى كلام المنجد .

الزهري يقول عنه الذهبي (الإمام العلم ، حافظ زمانه) وقال أيضا (أحد الأئمة الأعلام، وعالم أهل الحجاز والشام) ويقول عنه ابن حجر العسقلاني (الفقيه الحافظ متفق على جلالته وإتقانه) .
ولقد لقي عشرة من الصحابة فهو تابعي وقد مر عليك حكم حديث التابعي مرارا .

وهذا الأثر يدل صريحا على أن القوم لم يكتفوا بمجرد محاصرة بيت الزهراء وتهديدها بحرقه ، بل تطور الأمر إلى اقتحام البيت ، بل ثبّت الحديث بعض أسماء المهاجمين، والأهم من هذا هو إثبات وقوع اشتباك عند هذا الاقتحام.

ومن عجيب ما قيل في هذا الخبر في محاولة صرفه عن ظاهره تخفيف الوطأة الحدث، أ ن التعبير بكسّ سيف الزبير ليس على حقيقته!
قال المحب الطبري: هذا محمول على تقدير صحته على تسكين نار الفتنة وإغماد سيفها، لا على قصد إهانة الزبير (الرياض النضرة ٢٤١ .) .

وسواء كان غرضهم تسكين نار الفتنة أو إهانة الزبير فإن الأمر الذي لابد من التركيز عليه هو اقتحام القوم لبيت فاطمة بأسلحتهم وحصول اشتباك داخل البيت ، على علما أن الزبير كان ينتظر وقوع هذا الشيء من البداية بقرينة

قول الراوي : فدخلا بيت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعهما السلام) وهذا يثبت ما قدمناه من أن نية القوم كانت مبيتة من البداية لقمع كل معارضة موجودة .

الرواية الثانية :

ما رواه الطبراني في معجمه الكبير، قال: حدثنا أبو الزنباع روح بن الفرج المصري، ثنا سعيد بن عفير، حدثني علوان بن داود البجلي ، عن حميد بن عبد الرحمن بن حميد بن عبد الرحمن بن عوف، عن صالح بن كيسان، عن حميد بن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه، قال: دخلت على أبي بكر أعوده في مرضه الذي تو في فيه، فسلمت عليه، وسألته كيف أصبحت؟ فاستوى جالس ا ، فقلت: أصبحتَ بحمد الله بارئا . فقال: أما إني على ما ترى وجع، وجعلتم لي شغلا مع وجعي، جعلت لكم عهدا من بعدي ، واخترت لكم خيركم في نفسي، فكلكم ورم لذلك أنفه رجاء أن يكون الأمر له، ورأيت الدنيا قد أقبلت ولما تقبل، وهي جائية، وستنجدون بيوتكم بسور الحرير ونضائد الديباج، وتألمون ضجائع الصوف الأذري، كأن أحدكم على حسك السعدان، ووالله لأن يقدم أحدكم في ضرب عنقه في غير حد خير له من أن يسيح في غمرة الدنيا . ثم قال : أما إ ن لا آسي على شيء إ لا على ثلاث فعلتهن ، وددت أن لم أفعلهن ، وثلاث لم أفعلهن، وددت أن فعلتهن، وثلاث وددت أن سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهن، فأمّا الثلاث اللاتي وددت أنّي لم أفعلهن فوددت أنّي لم أكن كشف ت بيت فاطمة وتركته، وأن أغلق علي الحرب، ووددت أن يوم سقيفة
بني ساعدة كنت قذفت الأمر في عنق أحد الرجلين: أبي عبيدة أو عمر، فكان أمير المؤمنين، وكنت وزير ا ...(المعجم الكبير ١ / ٦٣) .

وقد حسن هذا الخبر ضياء الدين المقدسي في كتابه الأحاديث المختارة، بقوله: وهذا حديث حسن عن أبي بكر، إ لا أ نه ليس فيه شيء من قول النبي صلى الله عليه وسلم(الأحاديث المختارة ١ / ٩٠) .
علما أن مصنف هذا الكتاب قد التزم الصحة في الروايات التي خرجها في كتابه، ووافقه بعض علماء أهل السنة على ذلك : قال السيوطي في التدريب : ومنهم الحافظ ضياء الدين محمد بن الواحد المقدسي، جمع كتاب ا سماه المختارة، التزم فيه الصحة، وذكر فيه أحاديث لم يسبق إلى تصحيحها(تدريب الراوي ١ / ١٤٤) .
وقال ابن كثير: من ذلك كتاب الأحكام، و لم يتمه، وكتاب المختارة، وفيه علوم حسنة حديثية، وهي أجود من مستدرك الحاكم لو كمل ، وله فضائل الأعمال وغير ذلك من الكتب الحسنة الدالة على حفظه واطلاعه وتضلعه من علوم الحديث متنا وإسناد ا (البداية والنهاية ١٣ / ١٩٨) .
كما صححه الخطيب التبريزي في كتابه الإكمال في أسماء الرجال، قال: والخبر صحيح .

ونقل المتقي الهندي تحسين خيثمة الأطرابلسي للحديث، قال بعد إيراده الحديث : أبو عبيد في كتاب الأموال عق، وخيثمة بن سليمان الأطرابلسي في فضائل الصحابة طب كر ص(، وقال: إ نه حديث حسن، إلا أنه ليس فيه شيء عن النبي صلى الله عليه وسلم، وقد أخرج (خ) كتابه غير شيء من كلام الصحابة (كنز العمال ٥ / ٦٣٣) .

وقد حاول بعضهم إسقاط الرواية بتضعيف علوان بن داود البجلي، والحال أ نه لم يثبت في حقه أي جرح ، فكل ما قيل فيه من جرح لم يثبت عن أئمة الجرح وغير صريح في الجرح، علما أ ن ابن حبان قد ذكره في كتابه الثقات: ٥٢٦ . وكل من طعن فيه بأ نه منكر الحديث إ نما طعن فيه بسبب هذا الحديث فقط.
وهذا الحديث يحتوي اعترافا من ابي بكر بكشفه لبيت فاطمة واقتحامه له ، وبيان ندمه على ذلك ، ومن هنا فإ ن علماء أهل السنة والجماعة أحسوا بخطر هذا الاعتراف، فتلاعبوا بألفاظ الحديث وحرفوه فراجع (الأموال: ١٤٤ ، الأموال: ٣٤٧ ، إعجاز القرآن: ١٣٩ ، التذكرة الحمدونية ١ / ١٢٩) ذكروا في ترجمة ابن حمدون أ نه عوقب في آخر عمره من قبل الخليفة العباسي بسبب حكايات أوردها في كتابه (التذكرة) فلعل هذا ما حدى به أو بابنه لاخفاء مثل هذه الأمور.

الرواية الثالثة:
ما نقله ابن أبي الحديد المعتزلي، عن أبي بكر الجوهري في كتابه السقيفة وفدك ، قال: وحدثنا أبو زيد عمر بن شبة، قال: أخبرنا أبو بكر الباهلي، قال: حدثنا إسماعيل بن مجالد، عن الشعبي، قال: سأل أبو بكر، فقال أين الزبير؟ فقيل: عند علي وقد تقلد سيفه، فقال: فقم يا عمر، قم ياخالد بن الوليد، انطلقا حتى تأتيان بهما. فانطلقا، فدخل عمر، وقام خالد على باب البيت من خارج، فقال عمر للزبير: ما هذا السيف؟ فقال: نبايع عليا. فاخترطه عمر، فضرب به حجرا فكسّره، ثم أخذ بيد الزبير، فأقامه، ثم دفعه، وقال: يا خالد دونكه فأمسكه . ثم قال لعلي : قم فبايع لأبي بكر.
فتلكأ واحتبس، فأخذ بيده، وقال: قم. فأبى أن يقوم، فحمله، ودفعه كما دفع الزبير ، فأخرجه ، ورأت فاطمة ما صنع بهما ، فقامت على باب الحجرة ، وقالت: يا أبا بكر، ما أسرع ما أغرتم على أهل بيت رسول الله! والله لا أكلم عمر حتى ألقى الله . قال: فمشى إليها أبو بكر بعد ذلك ، وشفع لعمر، وطلب إليها، فرضيت عنه(شرح نّج البلاغة ٢ / ٥٧) .

وهذه الرواية مطابقة تماما للروايات السابقة التي ذكرناها، و لم تضف من التفاصيل سوى ذكر بعض الأسماء الجديدة التي شاركت في الهجوم على دار الزهراء وتفاصيل ما دار بين السيدة فاطمة وبين المهاجمين .
ولثبوت هذه الروايات سلم علماء أهل السنة والجماعة بهذه الحقيقة،

و لم ينكرها أحد منهم، نظرا لتظافر الروايات حولها، ولهذا نجد الشيخ ابن تيمية المعروف بانكاره الامور الواضحة قال في منهاجه : ونحن نعلم يقينا أ ن أبا بكر لم يقدم على علي والزبير بشيء من الأذى، بل ولا على سعد بن عبادة المتخلف عن بيعته أولا وآخرا ،وغاية ما يقال : إنّه كبس البيت لينظر هل فيه شيء من مال الله الذي يقسمه وأن يعطيه لمستحقه، ثم رأى أ نه لو تركه لهم لجاز، فإ نه يجوز أن يعطيهم من مال الفيء، وأما إقدامه عليهم أنفسهم بأذى فهذا ما وقع فيه قط باتفاق أهل العلم والدين(منهاج السنة ٨ / ٢٩) .

ففي هذا النص ث بت ابن تيمية قضية اقتحام الدار، إلا أنه حاول التبرير بعذر أقبح من الذنب ، يضحك الثكلى، وهو أ ن الكبس لم يكن لموضوع الخلافة والإمامة ، بل كان للبحث عن أموال المسلمين، ولا حول ولا قوة إلا بالله!

الخلاصة:

قد تبين للقارئ العزيز أن اقتحام بيت فاطمة من الأمور الثابتة تاريخيا بالروايات الصريحة والأسانيد الصحيحة التي لا يمكن التشكيك فيها، وإجبار علي بن ابي طالب وشيعته على بيعة ابي بكر مما لا ينكر ، فهذا علي سيد اهل البيت وهذا سعد بن عبادة سيدة الخزرج وقد حل بهم ما قد علمت فكيف ببسطاء الصحابة ؟! ، نعم الصحابي الجليل مالك بن نويرة قطعوا رأسه وزنا خالد بزوجته في نفس الليلة لأنه عارض خلافة ابي بكر ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم .

نعم ، فلما مضى المصطفى صلوات الله عليه وآله، اختطفوا الغرة وانتهزوا الفرصة، وانتهكوا الحرمة، وغادروه على فراش الوفاة، وأسرعوا لنقض البيعة ومخالفة المواثيق المؤكدة، وخيانة الأمانة المعروضة على الجبال الراسية، وأبت أن تحملها وحملها الانسان الظلوم الجهول، ذو الشقاق والعزة بالآثام المؤلمة، والانفة عن الانقياد لحميد العاقبة.

فحشر سفلة الاعراب، وبقايا الأحزاب، إلى دار النبوة والرسالة، و مهبط الوحي والملائكة، ومستقر سلطان الولاية، ومعدن الوصية والخلافة و الإمامة، حتى نقضوا عهد المصطفى، في أخيه علم الهدى، والمبين طريق النجاة من طرق الردى، وجرحوا كبد خير الورى، في ظلم ابنته، واضطهاد حبيبته، واهتضام عزيزته، بضعة لحمه وفلذة كبده، وخذلوا بعلها، وصغروا قدره، واستحلوا محارمه، وقطعوا رحمه، وأنكروا اخوته، وهجروا مودته، ونقضوا طاعته، وجحدوا ولايته وأطعموا العبيد في خلافته.

وقادوه إلى بيعتهم، مصلتة سيوفها، مقذعة أسنتها، وهو ساخط القلب هائج الغضب، شديد الصبر، كاظم الغيظ، يدعونه إلى بيعتهم التي عم شومها الاسلام وزرعت في قلوب أهلها الآثام، وعقت سلمانها، وطردت مقدادها، ونفت جندبها وفتقت بطن عمارها، وحرفت القرآن، وبدلت الاحكام، وغيرت المقام، و أباحت الخمس للطلقاء، وسلطت أولاد اللعناء على الفروج، وخلطت الحلال بالحرام، واستخفت بالايمان والاسلام، وهدمت الكعبة، وأغارت على دار الهجرة يوم الحرة، وأبرزت بنات المهاجرين والأنصار للنكال والسورة وألبستهن ثوب العار

والفضيحة، ورخصت لأهل الشبهة، في قتل أهل بيت الصفوة وإبادة نسله، واستيصال شافعته، وسبي حرمه، وقتل أنصاره، وكسر منبره، وقلب مفخره وإخفاء دينه، وقطع ذكره.

يا موالي فلو عاينكم المصطفى وسهام الأمة معرقة في أكبادكم، ورماحهم مشرعة في نحوركم، وسيوفها مولعة في دمائكم، يشفى أبناء العواهر غليل الفسق من ورعكم، وغيظ الكفر من إيمانكم، وأنتم بين صريع في المحراب، قد فلق السيف هامته وشهيد فوق الجنازة، قد شكت أكفانه بالسهام، وقتيل بالعراء قد رفع فوق القناة رأسه، ومكبل في السجن قد رضت بالحديد أعضاؤه، ومسموم قد قطعت بجرع السم أمعاؤه، وشملكم عباديد تفنيهم العبيد وأبناء العبيد، فهل المحن يا سادتي إلا التي لزمتكم، والمصائب إلا التي عمتكم، والفجايع إلا التي خصتكم، والقوارع إلا التي طرقتكم، صلوات الله عليكم وعلى أرواحكم وأجسادكم، و رحمة الله وبركاته .